

كلمة

نداء

نداء .. من جميع الذين قطع الانذال اصابعهم في عمان .. الى جميع الذين ما زالت اصابعهم تحسن استعمال السلاح في الوطن الكبير ..

نداء .. من جميع الذين شجت البلطات رؤوسهم وهم على اسرة العلاج في مستشفى الاشرفية الى جميع الذين ما زالوا يحتفظون برؤوسهم من جماهيرنا ..

نداء .. من الالاف التي قضت عطشا وجوعا ونزفا وحرقا في الاردن الى جميع الشرفاء في الوطن العربي ..

لم تنته المعركة بعد. بل انها الان بدات واضحة مشرقة كدم الثوار الذي انار الطريق امام الملايين من شعبنا ، امام الملايين التي ظلت حتى الامس القريب تخدعها اكاذيب الحكام والرؤساء والملوك واضاليلهم ، تخدعها مناورات الابالسة الذين كبلوا شعبنا وغلوا عنقه واستنزفوا جهده وعرقه .. جاؤوا الى مناصبهم وكراسيهم باسم فلسطين .. وحملوا قضيتها زورا ونفاقا امانة في اعناقهم .. وتاجروا بها سنوات وسنوات ليعمدوا في النهاية الى اغتيال الشعب الفلسطيني تحت انظار الصهاينة واسيادهم .. ليعمدوا الى ابادة الشعب الفلسطيني واحدا واحدا .. من بيت الى بيت .. كل ذلك باسم الحرص على القضية الفلسطينية .

الا ان جماهيرنا لن تصدق بعد الان . لن تصدق ان حكام تونس الذين دعوا الى الصلح مع اسرائيل منذ ١٩٦٥ يغارون الان على الشعب الفلسطيني .. وان حكام ليبيا الذين يستضيفون اليوم مجرما كمحمد الداود يؤمنون بحق الشعب الفلسطيني .. لن يصدقوا حكام العراق الذين ظلوا يقيدون الفدائيين في بغداد والذين ثاروا لتدمير الطائرة البريطانية في مطار الثورة والذين سحبوا جنودهم امام الدبابات الاردنية لتنفيذ جريمتها .. لن يصدقوا حكام مصر والسودان الذين بلعوا السنتهم الطويلة خلال ايام الجريمة واقتصروا عندما شارفت على نهايتها على ارسال الوسطاء بينما كان المجرمون يحرقون المخيمات الفلسطينية ، ويغتالون الجرحى في المستشفيات . لن يصدقوا جميع الذين هولوا بخطر التدخل الاميركي وهم يعلمون ان اميركا ما زالت تستطيع أن تستخدم في المنطقة قاعدتها الاسرائيلية ، وانهم بذلك يتهربون من مواجهة اسرائيل .

هؤلاء جميعا كانوا يقفون حتى الامس ، بعد ثلاثة اعوام ، بل بعد اثنين وعشرين عاما من الادعاءات العاجزة أمام اختيارين : اما المضي في المعركة مع اسرائيل واما المضي فيها مع الشعب الفلسطيني وطليعته المقاومة ودفع الجريمة الى منتهاها . واذا كان التردد في مجابهة اسرائيل قد طال اعواما فان ترددهم في مجابهة المقاومة والشعب الفلسطيني لم يطل طويلا . اختاروا الجريمة بوعي ، ودبروها ببرود ، وتوزعوا الادوار . وللمحافظة على عرشهم وكراسيهم ، للمحافظة على استغلالهم لشعبنا ، لم يترددوا في الاقدام على كل ما تكلفه الجريمة من دماء وحريق وازهاق ارواح .

كلفوا ملك النذالة والعمالة بالتنفيذ ووقفوا يتفرجون . بلعوا السنتهم وصموا اذانهم عن سماع النداءات التي كان الشعب الفلسطيني يرسلها طلبا للنجدة . حتى أن حكام القاهرة لم يبخلوا في تصريحاتهم بعبارات تغسل يدي الملك النذل من دماء الشهداء ، وتصور فعلته الشنيعة على أنها جاءت نتيجة لفقدان الصبر وطول الاناة .

هذه هي الحقيقة التي اظهرتها دماء الشهداء الزكية ، حقيقة تآمر الجميع وعجزهم . تآمرهم لابادة الشعب الفلسطيني في الاردن وعجزهم عن خوض المعركة مع العدو حتى يظلوا محتظفين بالكراسي والعروش ينفذون من فوقها ارادة المستعمرين في ايجاد دولة اسرائيلية ذات سيادة وحدود آمنة . اكان على الشعب الفلسطيني ان يدفع من دم العشرين الف شهيد حتى يظل حسين بن زين على عرش الاردن ؟ ثم يتفضل النميري ومحمد صادق وجميع الاخرين ليتوسطوا لوقف اطلاق وينفذوا شروط حسين بعد ان نفذ جريمته ! اسرائيل لم تجد الفرصة لكي تقتل عشرين الفا من الفلسطينيين والاردنيين خلال ستة ايام . وان يتطوع حسين بهذه الخدمة لاسياده امر لن ينساه لا الشعب الاردني ولا الشعب الفلسطيني ولا الجماهير العربية ، التي لن تنسى ايضا ان حرب الابادة التي ما زالت مستمرة تمت تحت سمع الحكام العرب وبصرهم، بل انها تمت بفضل تعامي ابصارهم عنها ، وبفضل صم اذانهم عن نداءات الشهداء المحتضرين وانين الجرحى بين الانقاض .

لقد فضل الحكام العرب ابقاء حسين على عرش الاردن حتى ولو كلف ذلك عشرين الف شهيد عربي ، حتى ولو كلف ذلك دمار عمان واربد والزرقاء ، وخلف جيلا من الايتام والمشوهين ومقطوعي الاصابع . حسنا ، لقد سجل التاريخ هذه المأثرة لحكام القاهرة وبغداد وطرابلس والخرطوم وسائر العواصم التي لم تدمر بعد كما دمرت عمان . لقد اختار الحكام العرب ان يكونوا اسودا على المقاومة الفلسطينية وابناء آوى أمام اسرائيل . لقد فضلوا أن يشنوا حرب الابادة ضد الفلسطينيين لكي يربحوا السلم الذليل – سلمهم – مع اسرائيل حتى ولو كان ذلك على جثة المقاومة الفلسطينية . الا ان التاريخ لم يسجل لهم هذه المأثرة ايضا . والتاريخ لا يكون دائما طوع الحكام والعروش . بل هو يسجل في بعض الاحيان ما تصنعه الشعوب ، يسجل ذلك بفخر وبحروف كبيرة . واذا لم يتسن بعد لجماهير الشعب العربي أن تصنع تاريخها بيدها فلأن وعي هذه الجماهير كان لمدة طويلة وحتى المجزرة البشعة في الاردن مغلفا باوهام القادة الوطنيين والرؤساء الوطنيين والحكام الوطنيين . ولان تلك اليد كانت مغلولة باغلال هؤلاء القادة والرؤساء والحكام اياهم . ان كفاح الشعب الفلسطيني البطل ، رغم كل ما حدث ، بل نكاد نقول بفضل ما حدث ، يشكل هزة عنيفة لوعي جماهيرنا الراكد وتبديدا لكثير من الاوهام التي ظلت تطمس هذا الوعي . اما اليد المغلولة .. فسوف يكون لها شأن اخر عندما تكسر القيد . اليد المغلولة ، يا حسين ، لا يجدي في تجميدها قطع اصابع الاطفال في مخيمات عمان حتى لا يصبحوا فدائيين .. اليد المغلولة ، يا حسين ، لها ملايين المثيلات في بقاع وطننا الكبير .. وهي لا بد ان تقبض يوما على عنقك الرجس وعلى جميع الاعناق الاخرى ، التي اشتركت في المؤامرة ، مهما اختلفت غلاظتها .

ويومها سوف تقبض بقوة حتى تجمد الدماء داخل عروقكم المجرمة فلا يكون لها شرف ان تراق كما ارقتم دماء الاطفال والشهداء في الاردن .

الاسبوع في سطور

جمعية الطلبة العراقيين في يوغوسلافيا

بيان حول الوضع في الأردن
"أرادوها حرب ابادة .. فلتكن حرب ابادة لهم"

لم تزل تردنا بيانات ورسائل وبرقيات من الطلبة العرب استنكارا لمجزرة الاردن . والبيان التالي اصدرته جمعية الطلبة العراقيين في يوغسلافيا:

يمر الشعب الفلسطيني – الاردني الان باخطر مرحلة منذ عدوان «يونيو (حزيران) ١٩٦٧ . فقد وصلت مؤامرات الرجعية الاردنية العميلة ذروتها بالانقلاب العسكري الفاشستي، الذي دبر لتنفيذ المخططات السوداء التي رسمت في دوائر الاستخبارات الامبريالية والرامية لضرب حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية ، كي يخلو الجو لحكم العمالة والخيانة الاردني لتصفية القضية الفلسطينية نهائيا وطعن حركة التحرر الوطني العربية في الصميم ، عن طريق امرار المشاريع الاستسلامية المشبوهة والتي تمثلت اخيرا في ما يسمى بمشروع روجزر .

ان المؤامرة المجرمة الاخيرة التي اغرقت شعبنا الفلسطيني – الاردني بالدماء ، ما هي الا حلقة في سلسلة الدسائس الامبريالية ، الاميركية على وجه الخصوص ، والتي كانت الرجعية العربية الاداة المطيعة لتنفيذها .

ان نمو حركة المقاومة الباسلة وتعاظمها ، هو الذي اطار صواب الامبرياليين والصهاينة والرجعيين ، وجعلهم ينكبون كالكلاب المسعورة على تدبير مؤامراتهم الدنيئة ، الواحدة تلو الاخرى ، حتى انتهوا الى مجزرتهم الحالية الدامية ضد الشعب الفلسطيني الاردني . لكن جماهير هذا الشعب ، مدعومة من كل الجماهير العربية بقيادة قواها التقدمية والمعادية للاستعمار ، والتي ترى في حركة المقاومة تجسيدا حيا لارادة الشعب العربي الفلسطيني ، سترد كيد السفاحين الى نحورهم ، وستحول حرب الابادة التي يشنها حكم الخيانة الفاشستي في الاردن الى حرب ابادة لهذا الحكم ، تنقذ الاردن من رجسه ومؤامراته وخياناته ، وتجعل منه قلعة حصينة تقف في الصف الاول من صفوف النضال العربي ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية ، ومن اجل خوض نضال ظافر ضد العدوان الصهيوني – الامبريالي ولتمكين الشعب العربي الفلسطيني من تقرير مصير بنفسه على أرض وطنه فلسطين . والمهمة الاكثر الحاحا في الوقت الحالي هي توحيد قوى المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية الاردنية في جبهة وطنية متلاحمة تواصل النضال الصابر الجسور حتى تدك اركان الحكم العسكري العميل وتقيم مكانه حكومة وحدة وطنية تستطيع النهوض بمهمات الصمود والتحرير .

اننا ، في هذا الظرف الحرج والمصيري ، وفي حين نشجب بكل قوة جرائم الرجعية الاردنية العميلة وحكمها الفاشي الدموي ، فاننا نحيي المقاتلين والمناضلين الابطال واستبسالهم في الدفاع عن شرف الشعب ، ونلح في دعوة كل القوى التقدمية والوطنية المعادية للاستعمار لتقديم كل اشكال العضد والدعم اللازم للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية ، حتى يتم اسقاط الحكم العميل في الاردن الصامد ..

جمعية الطلبة العراقيين
في يوغسلافيا

حادث النبطية :
عملاء السلطة يطلقون الرصاص على الفدائيين اثناء تشييع الرئيس عبد الناصر

أثناء مظاهرة تشييع الرئيس عبد الناصر في النبطية قام عملاء السلطة – وهم معروفون في البلدة – بافتعال حادث استفزازي لتشويه الموكب وايجاد حالة توتر في البلدة . فقد كان الفدائيون الذين يمثلون مختلف المنظمات الفدائية يسيرون في مقدمة الموكب واسلحتهم الى الارض حدادا على الرئيس الراحل ، وفجاة اطلق احد عملاء السلطة النار صوبهم مما ادى الى سقوط احدهم قتيلا على الفور، وادى هذا الحادث الى تبادل اطلاق النار مما اودى بحياة احدى نساء البلدة وقتيلين من الفدائيين .. ومع ذلك حافظ الفدائيون على هدوئهم وحرصهم على أن يستمر الموكب في سيره احتراما لذكرى الفقيد الراحل.

آثار الجريمة الوحشية التي اقترفتها السلطة العميلة في الأردن في قصف مخيم الوحدات



أخذت تخرج من عمان تفاصيل الجرائم الوحشية التي اقترفتها السلطة العميلة في الاردن لابادة الشعب الفلسطيني .

فقد تعرض مخيم الوحدات الذي يقطنه ٦٠ الف مواطن فلسطيني الى قصف مستمر اثناء مجزرة الاردن الرهيبة مما ادى الى سقوط مئات القتلى وتشريد السكان من أكواخهم ، وتحول المخيم الصامد الى كتلة من الدخان الاسود بينما جثث المواطنين تختلط بالحجارة المهدمة والنار المشتعلة.. وكان منظر مخيم الوحدات في عمان اثناء الاحداث يؤكد بان ما كانت تقوم به السلطة هو مخطط واضح لابادة الشعب الفلسطيني ، ومما يزيد من تأكيد هذه الحقيقة ان نسبة القتلى بين المواطنين مرتفعة جدا . وكانت وكالات الانباء قد نقلت عن مخيم الوحدات بعد وقف اطلاق النار ما يلي :

تخيم رائحة الموت والجثث المتعفنة على منطقة مخيم الوحدات في عمان حيث استعملت القوات العسكرية بلدوزر لردم التراب على خمسين جثة في احد الخنادق في عملية دفن جماعية.

وتقول وكالة انباء رويتر نقلا عن مصادر الصليب الاحمر الدولي ان وباء الكوليرا قد انتشر في المنطقة حيث اكد الصليب الاحمر الدولي عدة اصابات .

وتضيف الوكالة ان مخيم الوحدات قد تعرض لقصف شديد خلال القتال بين الفدائيين العرب والقوات الاردنية وهو مركز قوي للمقاومة شأنه في ذلك شأن جبل الاشرفية .

وقام الجنود الاردنيون بابعاد المصورين الذين كانوا يحاولون التقاط صور للقبر الجماعي والذي كان عبارة عن خندق حفر فيما يبدو لاعمال المجاري يؤدي الى مخيم الاشرفية .

أما في مستشفى الاشرفية فترقد هناك خمس جثث مغطاة بالدماء وكانت سيارة عسكرية قد نقلت خمس جثث اخرى خارج المستشفى لدفنها .

وتشير الوكالة انه لم يعثر على اثر للاطباء والمرضين او المرضى في المستشفى .

وتبدو اثار القصف العنيف الذي تعرض له المستشفى في حد ذاته والابنية القريبة منه .

وما زال الفدائيون يسيطرون على عدة مراكز داخل هذا المخيم .

في الذكرى الحادية والعشرين لتأسيس الجمهورية الصينية الشعبية
برقية إلى ماوتسي تونغ من اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية

بعثت اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية الى ماوتسي تونغ ببرقية لمناسبة الذكرى الحادية والعشرين لقيام الجمهورية الصينية ، هذا نصها:

« الرفيق رئيس مجلس الدولة لجمهورية الصين الشعبية .

ان ذكرى تأسيس جمهورية الصين الشعبية هي ذكرى عزيزة على كل الشعوب المكافحة وعلى حركات التحرر لانها ذكرى تشييد اضخم قلعة من قلاع الحرية في العالم هذه القلعة التي تتصدى بصلابة وحزم لكل القوى الامبريالية بزعامة الولايات الاميركية العدوة الاولى للشعوب المناضلة ، واللجنة المركزية للثورة الفلسطينية وهي تخوض اشرس معركة ضد العملاء في الاردن والصهيونية في فلسطين المدعمين بقوى الامبريالية الاميركية ، لتنتهز هذه الفرصة العظيمة الخالدة لتحيي باسم شعب فلسطين المكافح وثورته الصاعدة جمهورية الصين الشعبية وشخص الرفيق العظيم ماوتسي تونغ وحكومتها الثورية وشعبها الصديق معلنة شكرها وامتنانها واعتزازها للمواقف الثورية المصلبة التي تقفها جمهورية الصين الصديقة من قضية نضالنا العادل ضد العملاء والصهاينة . كما أن اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية تعلن امتنانها للمساعدات الصينية العظيمة التي كان لها اكبر الاثر في تدعيم ثورتنا وصمودها. والشعب الفلسطيني لم ينس اصدقاءه الذين وقفوا ويقفون معه وفي طليعتهم شعب الصين العظيم مؤكدين لكم . اننا مستمرون في ثورتنا مهما كانت ضخامة القوى العميلة الاستعمارية والنصر لا بد ان يكون حليف الشعوب المكافحة والهزيمة للامبريالية » .

اسلحة اسرائيلية استعملت في مجزرة الاردن !

أكدت قيادة مواقع عمان لقوات الثورة الفلسطينية انه تبين لها أن العملاء قد استعملوا اسلحة اسرائيلية في احداث الاردن ، فقد اصدرت قيادة مواقع عمان بيانا بذلك قالت فيه :

تبين لنا بعد فحص القذائف التي قصف بها العملاء مساكن المدنيين والمستشفى الجراحي بالاشرفية انها تحمل اشارات وحروف عبرية . هذا وستعمل قيادة الثورة في منطقة الاشرفية على اطلاع لجنة الاشراف على هذه المعلومات الخطيرة والتي ستكشف حتما خيوط كثيرة من المؤامرة وابعادها ومستمسكاتها.

الحرية
صاحب الامتياز: محسن ابراهيم
المدير المسؤول: حسن فخر
مدير الادارة: ياسر نعمه
مكاتب الادارة والتحرير: شارع المحمصاني ، متفرع من شارعي بشارة الخوري وعمر بن الخطاب
منطقة العاملية – محلة رأس النبع – بناية فؤاد درويش
هاتف : ٢٤٧٥٥٢ – ص. ب. ٨٥٧ بيروت – لبنان

جمال عبد الناصر في التاريخ

ينظر الناس – جميع الناس – حولهم في هذه الايام وكأن البحر قد انحسر عن شاطىء المدينة ليغيب وراء الافق ، أو كأن الجبل المطل على المدينة، منذ أجيال بعاد ، قد غار بغتة في القاع . والناس حين ينزلون الى الطرقات ليقيموا أنصاب الحزن ومعالمه السوداء، ليتظاهروا ، لينتحبوا جماعات وفرادى ، يؤدون بهذا كله طقسا فيه شيء من السحر ، لعل السحر يدخل الى خلدهم، الى مكمن الايمان فيهم حقيقة هي الغياب الحاضر حيثما كان : ان عبد الناصر قد مات .

ذلك ان عبد الناصر كان بيتا تقضت فيه طفولة ، وكانت العين تقع على صورته مثلما تقع على نافذة أليفة .. لكن الحديث عنه يقتضي ان تضرب كل كلمة بعشرات الملايين، أن يتسع مدى التشبيه الى مدى لا يحتمله التشبيه . فهو في آن معا سقف يظل عشرات الملايين ومنزل لكل فرد واحد في هذا الوطن العربي يأنس اليه كأنسه الى بيته الصغير المسيج .

واذا كانت الدار ، في الرؤيا العربية ، مستودعا للكرامة لا يمتهن، فان الذين شيعوا عبد الناصر اليوم، كانوا يشيعون مستودع كرامتهم، بعد ان انتهك الموت بابه وعصف، على حين غرة ، بأركانه الوطيدة .

أطل عبد الناصر على الجماهير العربية ، وهي بلا صوت . كان اندفاعها الى الحرية يختنق عند حدود العبارة . واستطاع الرجل أن يعيد الى الجماهير صوتها وان يرفع هذا الصوت عاليا من موقعه هو ... من موقع الضابط الوطني ثم من موقع القائد الوطني .. من موقع جهاز الدولة الذي ترأسه ثم من موقع الطبقة التي حكم بها وان لم يحكم باسمها. لم يكن الرجل فوق التاريخ: كان في التاريخ بقامته كلها وكانت هذه هي عظمته ، مهما قال فيه جهلة لا يرون العظمة الا خارج الزمن . ولانه أعظم ما في تاريخ العرب المعاصر وأذكى ما فيه ، كان يعلم ان حرية الوطن هي أول ما تريده جماهير الاوطان المستعبدة . كان يعلم انه لن يستطيع ان يكون مستودع الكرامة لهذا الشعب الا اذا كان رمز حريته. لذا حدد عبد الناصر كرامة الجماهير بحريتها وظلت ارادة الحرية هي ما يشد الجماهير اليه رغم كل هزيمة. الحرية في سبيل الكرامة ، الكرامة قبل الخبز .

ولعل الذين أطعمهم نظام عبد الناصر مزيدا من الخبز يبكون اليوم. لكن الفلاح الذي بقي خبزه على حاله أو نقص ، يبكي هو ايضا، ونحيبه الذي تتحيله الاذن متعاليا من أقاصي الصعيد ، هو الاصدق والاشد تمزيقا للمهجة . انه يبكي محقق الجلاء ومؤمم القناة وباني زعامة مصر العربية وموطد مكانتها في العالم .. اي انه يبكي صانع حرية الوطن التي ليس قبلها كرامة .. كذلك شأن المجوعين في بيروت أو في بغداد او في الجزائر ..

×

كان عبد الناصر مستنابا عن الجماهير لانه عرف صوتها وأتقنه. كان ناطقا بهذا الصوت لانه نبت في التاريخ لمرحلة بعينها من التاريخ وعاها ورفع شعارها هي مرحلة التحرر الوطني . في سبيل التحرر الوطني ، فيض لعبد الناصر أن يفيد – طوال سنوات – من جملة التناقضات العاصفة بالعالم: من تنافس المعسكرين الى التنافس في قلب كل منهما الى صعود حركة التحرر الوطني في القارات المستعبدة وتحول هذه القارات الى مجال للتنافس المذكور ، يعاني وطأته ويستثمر اثاره . وكان عبد الناصر يحتل ، في هذا كله موقع قوة هو موقع قطره الكبير في قلب الوطن العربي . في مرحلة الصعود هذه حقق عبد الناصر الجلاء وأمم القناة وخاض أول تجربة للوحدة العربية وباشر تشييده لاركان اقتصاد كان يريده مستقلا أيضا ، ووضع بلاده في مركز القيادة الفاعلة بين الاقطار العربية وفي موقع المهابة بين بلدان العالم الثالث . وكانت الجماهير العربية ترى ان تراثا من النضال الوطني يبنى على ارضها وان صوتها اخذ يعلو فوق هذه الارض على كل صوت أجنبي ، وان عملاقا نبت بين أقزام – لا يزال معظمهم أحياء – يركز باسم الجماهير مداميك هذا البناء ، فيفتح بذلك عهدا جديدا من السياسة ، في الوطن العربي ، هو غير عهد الحكام الموصدي الأبواب ، الغافلين عن مصائر البلاد، المتلهين بحريم أو بعصا عسكرية مرصعة ، المسلسين قيادهم لسفارة ما ..

هذا العهد الجديد فرض قواعده على من حوله .. أو أنه – على الاقل – فرض عليهم مراعاة هذه القواعد في الظاهر . واذا كانت مرحلة صعوده الاكبر لم تدم الاسنوات ، فلأن القائد الذي يولد من التاريخ لا يستطيع ان يستقي الا من المرحلة التاريخية مادة لمنجزاته. وليس في هذا ابدا ما يشينه او ينتقص من مكانته .. كان لا بد لحركة التحرر الوطني في العالم كله أن تعاني من هجمة الامبريالية الجديدة ، مؤقتا، قبل أن تلتقط أنفاسها وتجدد مناهجها وقواها . كان لا بد لها أن تكبو من جراء صلاتها الجديدة بالصراع بين الكتلتين الدوليتين ومن جراء القيود التي شدت بعض فصائلها الطبقية الى منطق الرعب الذري والى وجهه الاخر ، منطق التعايش السلمي » (بمعنى معين من معانيه). كان لا بد للطبقة المسيطرة في مصر – وقد اصبحت سيدة بلادها – تستقر على مكاسبها ، دون ان تنسى صلاتها الجديدة ، وان تفقد ، أمام تحول المعركة ، زخم الاندفاعة التي اوصلتها الى حيث هي . كان لا بد اذن من تعاقب النكسات الذي شهدته مصر منذ أوائل الستينات . ولم تكن الجماهير العربية هي التي « انفقت بلا حساب » (والعبارة لهيكل) من زعامة عبد الناصر، بعد هزيمة حزيران مثلا . هذه الجماهير لم يكن لها يد في الهزيمة . الذين « انفقوا بلا حساب » من زعامة عبد الناصر هم أبناء الطبقة المسيطرة في مصر، وهم الذين تعيشوا – ومعهم الكثيرون من اقطار أخرى – على هذه الزعامة وتستروا خلفها واحتموا من غضب الجماهير بمحبة الجماهير لعبد الناصر وبولائها لقيادته .

هذا الوفاء ظهر ، بعد حزيران ، على صورة ندر مثالها . كانت الركائز كلها قد انهارت ما عدا اثنتين : الجماهير وعبد الناصر . كانت الجماهير ترى في قائدها ارادة الحرية التي كادت تضيع – أو هي ضاعت – من جديد . ولأن عبد الناصر ظل القبس الوحيد الذي وجدته الجماهير ، في أقصى هوة فاغرة، فان الجماهير قد ارتضت ، بتفان مذهل ، اعطاءه ما يردم به الهوة ليقيم عليها بناء جديدا ، من طراز القديم الذي أودت به العاصفة .. بناء لم تكن الجماهير تملك ما يضمن لها صموده أمام الامتحان المقبل الا كلمة عبد الناصر .. وقد صدقت الجماهير هذه الكلمة وكان تصديقها عبئا على الرجل الذي كان يريد ان يختفي في التاسع من حزيران .. بعد حزيران ظل عبد الناصر في التاريخ، في الدولة التي بناها ، في الطبقة التي حكم بها . وقد أراد أن يكسب لجماهيره ، بهذا كله ، جولة تاريخية جديدة ، لم يكن هذا كله أداة الانتصار فيها .. ولعل ذاك التنافر « المحتم » بين الارادة والاداة هو ما قتل عبد الناصر .

×

كان هذا الرجل، في الوطن العربي، دارا لكرامة الجماهير ، بيتا تقضت فيه طفولة النضال الوطني وكاد يبلغ – عبر الازمات – اشده . لكن الرجل كان سندا حتى للحكام من أدعياء مخاصمته . فما كان هؤلاء ليظلوا في مقاعدهم مدة طويلة، بعد حزيران، لولا ان رئيس مصر لبى نداء الجماهير ولم يغادر مقعده .

واليوم ، وقد غيب الموت طلعة جمال ، سيبقى الموت عاجزا عن محو الكرامة التي كانت تحملها هذه الطلعة.. وحين تهتف الجماهير ، وهي تشيع قائدها : « كلنا عبد الناصر »، فذلك يعني ان الجماهير ، من الان فصاعدا ، هي مستودع كرامتها الوحيد .

وفي ذمة الخلود، جمال عبد الناصر، بعد أن خرجت من التاريخ .

« الحرية »

أهم الأحداث في حياة عبد الناصر

من عام ١٩٥٢ الى ١٩٧٠ مرحلة تاريخية من تطور مصر الذي أثر بدوره على تطور الوطن العربي كله . وكان عبد الناصر يمثل هذه المرحلة بكل انجازاتها وأنتصاراتها ونكساتها وكانت قيادته الفذة تترك بصماتها على كل ذلك ، الا ان قيادة عبد الناصر لم تكن تحقق مهام هذه المرحلة التاريخية فوق الواقع والبشر والقوى الاجتماعية المتصارعة محليا وعربيا وعالميا، انما كانت تنسج انتصاراتها وانجازاتها ، وحتى الانتكاسات والهزائم من مواد المرحلة التاريخية نفسها ، من قواها وأمكانياتها وحدودها .. وهذا سجل مختصر لاهم الاحداث في حياة عبد الناصر :

● ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

وصل تعفن النظام الملكي الى ذروته، وكانت الحركة الوطنية والجماهيرية في ذروتها ، الا ان ما كان ينقصها هو حزبها وأطاراتها القيادية ، فالطليعة المثقفة الراديكالية وهي من أصول بورجوازية صغيرة كانت موزعة بين منظمات وأحزاب سياسية من اليمين الى اليسار ، ـ الاخوان المسلمون ، يسار الوفد، المنظمات الشيوعية .. وكانت المنظمات الشيوعية بالرغم من بروزها ونموها لم تصل بعد الى أستيعاب مهام المرحلة التاريخية وقيادة الحركة الوطنية ، وكان ثقل الحركة الجماهيرية الناشطة قد بدأ يؤثر على الطبقة الحاكمة وعلى أجهزة الدولة من ناحية قدرتها على التماسك وعلى الحكم ، فخرج « الضباط الاحرار » بقيادة عبد الناصر ليطيحوا بالنظام الملكي المتعفن ، وليحاولوا انجاز ما عجز النظام القديم عن انجازه علىالصعيدين الوطني والاجتماعي .

ولم يكن تكوين الضباط الاحرار مختلفا عن الاراء والايديولوجيات السائدة وسط المنظمات السياسية اليمينية واليسارية القائمة ، الا أن عبد الناصر كان قادرا على صهر نواة ثورته وتوحيدها عبر تجريبية التحرك على مختلف الاصعدة السياسية والوطنية والاقتصادية ، مما بلور أيديولوجية خاصة بها هي « الايديولوجية الناصرية » .

● ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٢ :

الاصلاح الزراعي الاول :

كان الاصلاح الزراعي اول بند في انجازات ثورة عبد الناصر الاجتماعية ، وكان أول ما صدر بعد الاطاحة بالنظام القديم .

جعل الاصلاح الزراعي الحد الاعلى للملكية العقارية ٢٠٠ فدان للملاك (٨٤ هكتار) . (في الواقع سيحتفظ اكثرهم ب ٣٠٠ فدان اذ ان القانون يسمح لاب ولدين بالاحتفاظ بمائة فدان علاوة) .

ـ (وفي عام ١٩٦١ جرى اصلاح زراعي ثان خفض الحد الاقصى للملكية الفردية الى(١٠٠) فدان (٢٤ هكتارا) ولكنه أعطى شروطا افضل لتسهيل تسديد بدلاتاستملاك الاراضي الموزعة على المنتفعين بالاصلاح الزراعي .

ـ في عام ١٩٦٨ كانت ٣٠٠ ألف أسرة (أي حوالي مليوني فلاح فقط من أصل ١٦ ـ ١٨ مليون) منتفعين بالاصلاح الزراعي بمعدل وسطي قدره هكتار واحد من الارض للاسرة .

يدفع ثمنها المعتدل ، وتجهز بصورة جيدة بشبكة للري مع تسهيلات جيدة لزراعتها .

ويقول حسن رياض انهذا الاصلاح الزراعي لم يحل المشكلة الاجتماعية اذ يوجد حتى الان ١٤ مليون من المزارعين المصريين لا يملكون الارض ..

وفي عام ١٩٦٩ جرى تعديل جديد على الحد الاعلى للملكية فخفضت الى ٤٠ فدانا .

● ٢٧ تموز يوليو ١٩٥٤ : اتفاقية الجلاء :

كانت القضية الوطنية المتمثلة انذاك في وجود القوات البريطانية على ارض مصر وعلى قناة السويس ، هي البند الاول ايضا في انجازات ثورة عبد الناصر الوطنية ..

كان جمال عبد الناصر قد أنذر بانه اذا رفض الانجليز ان يرحلوا عن مصر « فسنحاربهم » ، وأضاف عبد الناصر يقول « ان هذه الحرب لن تكون حربا تقليدية أو رسمية بل انها سوف تأخذ لنفسها شكل المسيرة الكبرى الى الموت ، يشترك فيها الشعب كله وليحدث ما يحدث ، فعلينا وعلى اعدائنا » !

ورضخت بريطانيا وسط ظروف دولية غير مناسبة وتحت ضغط الخوف من نمو « حرب الشعب » التي قد يلجأ لها عبد الناصر اذا لم تنسحب القوات البريطانية ، فكانت اتفاقية الجلاء البريطانية ـ المصرية التي تم توقيعها في ٢٧ تموز ١٩٥٤ .

● ٢٦ اوكتوبر ١٩٥٤ : محاولة الاغتيال الاولى :

بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، نظم الجهاز السري للاخوان المسلمين محاولة لاغتيال عبد الناصر ، كان عبد الناصر يخطب في الجماهير في ميدان المنشية بالاسكندرية ، أطلقت عليه ثماني رصاصات من احد ارهابيي الاخوان المسلمين لم تصبه ، وظل عبد الناصر واقفا امام الميكرفون دون أن يتحرك أو يهتز ، وبعد لحظات من الصمت صرخ جمال :

الزموا اماكنكم لا تتحركوا فاذا قتلت ، فستظل الثورة لان كل فرد فيكم هو جمال عبد الناصر .

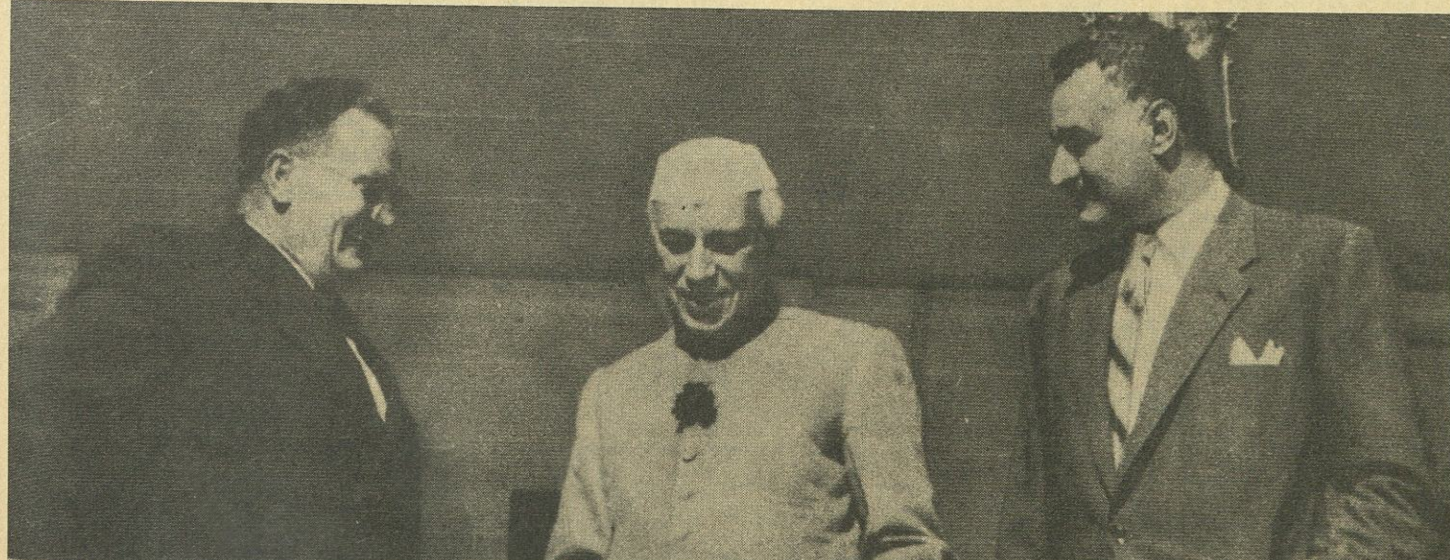
● يناير ١٩٥٥ : حلف بغداد :

أقيم حلف عسكري موحد ضد المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفياتي يضم العراق وتركيا وايران وبريطانيا والولايات المتحدة ، وقاد عبد الناصر معركة وطنية لاحباط هذا المشروع الاستعماري تميز بمد جماهيري واسع في طول الوطن العربي وعرضه ..

● فبراير ١٩٥٥ : هجوم اسرائيلي على غزة :

شنت اسرائيل هجوما عسكريا علىقطاع غزة قتل فيه حوالي خمسين شخصا من عسكريين ومدنيين . أدلى عبد الناصر على أثر هذا الهجوم الاسرائيلي بالتصريح التالي :

« كنت مسالما حتى بالنسبة لاسرائيل ، وذلك رغم التحذيرات التي صدرت عن بعض ضباطنا ، وفي ليلة واحدة في ليلة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ تغير كل شيء ، كان لا بد من وجود السلاح لندافع عنانفسنا، فقد رأيت اللاجئين



ابطال عدم الانحياز : تيتو ـ نهرو ـ عبد الناصر



الفقيد الكبير اثناء احدى مواقفه الخطابية

وارعبتني فكرة احتمال مشاهدة المصريين ، وقد اصبحوا في وضع مماثل » ...

وامام اسرائيل المدججة بالسلاح الذي تدفق عليها من الغرب بكميات مفرطة وقفت مصر دون سلاح ودون درع يحميها . وثار الرأي العام ، بينما واصل عبد الناصر جهوده للحصول من الغرب على الاسلحة الموعودة ولكن دون فائدة ..وفيمارس انذر عبد الناصر اميركا « نظرا لموقفكم ساضطر الى شراء الاسلحة من الشرق » .

● أبريل ١٩٥٥ : مؤتمر باندونج :

دعي عبد الناصر لتمثيل مصر في المؤتمر الافريقي ـ الاسيوي الذي عقد في باندونج بالجمهورية الاندونيسية وكانت محادثاته مع نهرو قبل ذلك بشهر واحد قد شجعته على ان يلبي الدعوة .

● ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٥ : صفقة الاسلحة التشيكية :

اعلن عبد الناصر عقد صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا .

لقد كانت قضية التسليح مسألة رئيسية في العلاقة مع الغرب ومع الولايات المتحدة على الخصوص . فمن مهمة علي صبريفي البانتغون خلال خريف ١٩٥٢ الى المفاوضات التي قام بها عبد الناصر نفسه مع السفير الاميركي ايلول ١٩٥٥ في طلب الاسلحة من الولايات المتحدة اول « دولة صديقة » انذاك ، ليجعل الجيش المصريموازيا لجيش اسرائيل، كان الرد يتلخص بان الجانب الاميركي لا يستطيع الاقدام على خطوة ما في هذا السبيل ما دامت مصر ترفض الانضمام الى حلف دفاعي مشترك .

منذ هذا الوقت بدأت سياسة الحياد الايجابي تعتبر القاعدة المرئيسية في علاقاتمصر الخارجية .. فقد رفض عبد الناصر التبعية للغرب ولاميركا التي حاولت فرض شروطها (حلف دفاعي مشترك) وتقرب من المعسكر الاشتراكي ، وكانت هذه السياسة الخارجية تناسب فكرة الانماء الاقتصادي من مصادر دولية مختلفة بحيث تهيمن اجهزة الدولة على الاقتصاد وتوجهه ، وهذا ما كان يناسب بدوره ، نمو فئات اجتماعية ترتبط معيشتها بأجهزة الدولة : توسع الادارة ،الكبير خاصة، بعد التأميمات التي صدرت في عام ١٩٦١ .

وأستطاع عبد الناصر أن يؤمن في ظروف دولية مناسبة لن تتكرر بعد ذلك ، (الحرب الباردة وتنافس المعسكرين) تأمين قروض كبيرة الحجم من المعسكرين :

(في عام ١٩٦٥ نظم أحد الخبراء الاميركيين قائمة بقروض مصر الاجنبية وتسهيلات الدفع الممنوحة لها .

وهذه هي القائمة :

المعسكر الاشتراكي :

١ ـ الاتحاد السوفياتي	٣٢٢ر٥ مليون جنيه مصري
٢ ـ تشيكوسلوفاكيا	٦٢ر٥ مليون جنيه مصري
٣ ـ المانيا الشرقية	٤٥ر٥ مليون جنيه مصري
٤ ـ بولندا	٢٤ر٥ مليون جنيه مصري
٥ ـ المجر	١٢ر٠ مليون جنيه مصري
٦ ـ يوغسلافيا	٧٠ر٠ مليون جنيه مضري
المجموع	٤٨٢ر٩ مليون جنيه مصري

المعسكر الغربي :

١ ـ الولايات المتحدة	٥٣٥ر٦ مليون جنيه مصري
٢ ـ المانيا الغربية	٩٣ر٠ مليون جنيه مصري
٣ ـ ايطاليا	٩٢ر٩ مليون جنيه مصري
٤ ـ اليابان	١٧ر٠ مليون جنيه مصري
٥ ـ فرنسا	١٠٠ر٠ مليون جنيه مصري
٦ ـ بريطانيا	٥٠ر٤ مليون جنيه مصري
٧ ـ هولندا	٥٠ر٠ مليون جنيه مصري
٨ ـ سويسرا	٤٠ر٠ مليون جنيه مصري
٩ ـ السويد	٣٠ر٣ مليون جنيه مصري
١٠ ـ بقيةالبلدان	٦٠ر٣ مليون جنيه مصري
المجموع	٧٧٢ر٥مليون جنيه مصري
ـ البنك الدولي	١٩ر٧ مليون جنيه مصري
ـ هيئةالتمويل العالمي	٣٦ر٠ مليونجنيه مصري
المجموع الكلي	١٣١١ر١ مليون جنيه مصري

وحصل ناصر على تجهيزات عسكرية من الاتحاد السوفياتي يقدر ثمنها ب ٥٠٠ مليون من الدولارات .

ان هذه القروض والمساعدات الخارجية وفرت امكانية للتصنيع والنمو الاقتصادي ، الا ان الطبقة الجديدة التي تحدث عنها عبد الناصر كثيرا صرفت مئات الملايين من الجنيهات المصرية على أستهلاكها من انتاج السيارات والبرادات واجهزة التلفزيون والغسالات واجهزة التدفئة والمتهوية مما خفضمنتوظيفاتها المنتجة ، وأدى الى أن تصبح هذه القروض فيما بعد ـ وخاصة بعد عام (١٩٦٥) ـ عبئا ثقيلا على الاقتصاد المصري .

● ٢٦ تموز يوليو ١٩٥٦ : التأميم والعدوان الثلاثي :

سحبت الولايات المتحدة عرضها الخاص بتمويل مشروع السد العالي ، وعلى الفور سحبت بريطانيا عرضها وسحب البنك الدولي تأييد المشروع .

في ٢٢ يوليو القىعبد الناصر خطابا جماهيريا قال فيه : سنبني السد وموتوا بغيظكم !..

وفي ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وبلهجة مرحة أخذ عبد الناصر يروي للجماهير مجادلاته مع الدبلوماسيين الاميركيين ثم أعلن للجماهير ان القناة عادت بالفعل الى أصحابها الشرعيين !.

قال عبد الناصر : « ان دخل القناة ١٠٠ مليون دولار ، تأخذ منها مصر ٣ ملايين ، اننا لن نكرر الماضي ابدا وسنأخذ نحن ال ١٠٠ مليون لنبني بها السد العالي .. ان العالم العربي له أمكانيات ضخمة . ونقطة ضعفه الوحيدة هي انه لا يعي قوته » . بدأت معركة وطنية كبرى بعد تأميم القناة ..

الدولتان الاستعماريتان بريطانيا وفرنسا ومعهما أسرائيل تقوم بالعدوان الثلاثي وحملة السويس . ورد عبد الناصر :

« لن نستسلم امام المعتدين وانا اعاهد الشعب اننا سنقاتل معه ، لن تسلم مدن القناة دون معارك وجميع دول العالم الصديقة سوف تساندنا ، لقد صدرت الاوامر بتوزيع السلاح على الشعب، فبفضل وعيه واستعداده للاستشهاد ينتصر الشعب دائما على المعتدين مهما بلغ تفوقهم عدة وعددا » .

وبالفعل حملت الجماهير السلاح في بور سعيد ، وبدأ الشعب يتسلح ، وبدأت بذلك بوادر « حرب الشعب » ، ومرة اخرى لا تأخذ هذه الحرب مداها ، فالموقف الدولي:الانذار السوفياتي والضغط الاميركي على بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، والخوف الاساسي من تطور المعركة الوطنية الى « حرب شعبية » دفعت جميع الاطراف الى انهاء حملة السويس والى فرض الانسحاب على القوات المعتدية .

● شباط (فبراير) ١٩٥٨ : ألوحدة

كانت نتيجة العدوان الثلاثي مد وطني وجماهيري واسع في جميعانحاء الوطن العربي. وفي هذه الظروف الوطنية تحققت اول وحدة بين بلدين عربيين في تاريخ العرب الحديث ، وقامت الجمهورية العربية المتحدة .

● يوليو (تموز) ١٩٦١ : التأميمات :

بعد تجارب كثيرة رفضت البورجوازية الكبيرة الاقدام على توظيف رؤوس أموالها في مشروعات صناعية كبيرة ، واخذت الدولة تلعب دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية خاصة بعد تمصير المؤسسات الاجنبية عقب العدوان الثلاثي . بدأ وضع خطة خمسية للتنمية ومشروع السنوات الخمس الثاني ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ـ بالاضافة الى نجاح تجربة ادارة قناة السويس بعد تأميمها ، لقد أستنتجت القيادة أن الاطارات العسكرية قادرة على ادارة المشاريعالكبرى ، فلماذا لا تشرفالدولة بنفسها على الصناعة وعلى الاقتصاد ؟. وهكذا كانت تأميمات عام ١٩٦١ التي اصابت معظمالمشاريع الصناعية والشركات المساهمة ، وضربت ملكية البورجوازية الكبيرة وأصبحت هذه المشاريع والمؤسسات في عهدة ، أجهزة الدولة، وأستلم ادارتها التكنوقراطيون والاداريون المدنيون والعسكريون .

وامتدت تأميمات ١٩٦١ الى الاقليم السوري بعد الوحدة .

● من ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ : الى حزيران ١٩٦٧ :

كان صراع وتنافس البيروقراطيينالعسكريين السوريينوالمصريينهو الذيحضر الجو لتضافر القوى الانفصالية المحلية السورية بتأييد من قوى الاستعمار والرجعية العربية لتحطيم أول تجربة وحدوية عربية .

كانت نكسة الوحدة تجربة مريرة لعبد الناصر صدر بعدها الميثاق الوطني ، وقام الاتحاد الاشتراكي العربي . الا أن ما كان يميز هذه المرحلة نمو الطبقة الجديدة بحيث تبلورت مصالحها وامتيازات بسيطرتها على اجهزة الدولةوادراتها للمؤسسات الاقتصادية، ووجودها في قمة الجيش المصري .. وكانت هذه الطبقة تختفي وراء زعامة عبد الناصر الوطنية وتعلق الجماهير به، تخفي التناقضات الجديدة التي أخذت تقوم بينها وبين الجماهير ... وفقدت هذه الطبقة بحكم مصالحها الجديدة القدرة على متابعة المعركة الوطنية ومجابهة الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية الجديدة .

وكانت هزيمة ٥ حزيرانالعسكرية التي كشفت طبيعة أجهزة الدولة العسكرية والمدنية على السواء بعد الهزيمة اعلن عبد الناصر استقالته من منصبه كرئيس للجمهورية ، وعين الجماهير رفضت ذلك ، لانها رفضت الاختيار .. ولانها كانت تعتبر الطبقة المسيطرة هي المسؤولة عن الهزيمة، فأن عبد الناصر كان هو أملها الوحيد بالنصر .
زكريا محيي الدين خليفة له ، الا ان



العراق

«قوميّة المعركة» في مواجهة المعركة القومية

منذ القبول المصري بالمقترحات الاميركية لم يجد الحكم العراقي في الظروف الجديدة الا فرصة ذهبية لاحياء حلم قديم بالحلول محل الزعامة المصرية في العالم العربي التي بدت له في تراجع مستمر .

ولم تكن هذه الظروف تهمه الا بقدر ما يحسن استغلالها لصالح اهدافه الضيقة الخاصة . وكانت عدته في ذلك كلهوسيلة، هي ترياقه وخبز يومه ، لا يملك دونها وسيلة : تصعيد شعاراته الى حدود المواجهة المباشرةمع جبهة الاعلام المصري. وكان منتظرا أن يدير هذا الاخير دفة حوار سهل معالنظام العراقي يفقده حججه في الاقناع بل ويفقده اعصابه بالغمز من ارتباطاته المشبوهة (مع بريطانيا) وابداء عدم الثقة به . حتى بدا كل تناول للموقف العراقي لغير حساب القبول بالمقترحات الاميركية نشازا خارج الموضوع . وكان أن دفع النظام العراقي ، ازاء تحديات الاعلام المصري ، تصعيده في شعاراته الى ذروته بالاعلان — بالاعلان فقط — عن وضع قواته الموجودة في الاردن والبالغة اثنتي عشر الفا تحت القيادة المباشرة للمقاومة الفلسطينية .

كان هناك في تاريخ البعث العراقي وفي بنية نظام حكمه ما يشكك ، قليلا او كثيرا ، في جدية شعاراته ومدى الحقيقة فيها . لكن كان لا بد من انتظار الاحداث الاخيرة في الاردن والموقف العملي للعراق منها لكي يصيب هذه الشعارات ضمورا لا مثيل له حتى بدت وكانها هيكل عظمي : في مواجهة صيحات المقاومة الفلسطينية المستغيثة ، التي كانت تتعرض وجماهيرها لمذبحة حقيقية على يد النظام الملكي العميل في الاردن ، بطلب تدخل القوات العراقية الموجودة في المنطقة الشمالية والتي كان مفترضا ، كما اعلن العراق من قبل ، انها تحت امرة المقاومة ، في مواجهة ذلك كانت هذه القوات تتلقى أوامرها من حكام بغداد بعدم التدخل والوقوف على جانب الحياد في الصراع الدائر . ولم يكن من بد لهذه القوات الا ان تحيد للقوات الاردنية للمرور من امام انظارها متوجهة الى مكان ما لتقترف جريمة ضد المقاومة . وانه لامر لا يخلو من الاصالة أن يكون بين القوات العراقية المجمدة عدد من الجنود (١٢٠٠ جندي) التابعين لجيش التحرير الفلسطيني ، لان النظامين المصري والسوري ، على حد قول بعض الصحف ، لم يفكا أسره في بلديهما على عكس (بالطبع على عكس ما فعل العراق !) .

لقد اثار الموقف العراقي المتخاذل بعدم دعمالمقاومة الفلسطينيةرغم صيحات الاستغاثة التي اطلقتها هذه الاخيرة وهي تتعرض لابشع المؤامرات ، استنكار اوسع الجماهير العربية حتى انه كثر الحديث عن « تمرد » أقسام واسعة من البعثيين انفسهم على موقف الحكم العراقي مما دفع ميشال عفلق الى نشر بيان يدعو فيه البعثيين الى التطوع من أجل الوقوف الى جانب المقاومة لحفظ ما اراقه العراق من ماء الوجه وكتب منتقدا « الانظمة الجديدة التي لم تتعظ بعبر النكسة » غير مستبعد « ان تكون فرص التسرب الاستعماري الى داخلها قائمة » (مقال : المؤامرة الكبرى ، ٢٣ ايلول ١٩٧٠ ، جريدة الكفاح) محاولا بذلك وضع الحدود بين حزب البعث والحكم العراقي لكون هذا الاخير ، على ما يوحي به مقال عفلق ، لا يشتمل على « الفضائل » البعثية !

كان منتظرا من الحكم العسكري البعثي في العراق بعد انفضاح موقفه المتخاذل من المقاومة امام الجماهير وضمور شعاراته بفعل



حردان التكريتي

وضعها على محك الواقع ، ان يبرر موقفه المتخاذل هذا بحجة واهية روج لها الامبرياليون قبل غيرهم تزيد في الواقع من ادانته اكثر من أن تخفف من حجم الادانة .

فقد عزا بيان صادر عن « مجلس قيادة الثورة » العراقي « الحملات التي شنت على العراق ، وهي « حملات » ليست سوىادانة باشرت بها المقاومة قبل غيرها ، بانها كانت تهدف الى دفعه الى تصرف « يعطي الامبرياليين الاميركيين والانكليز ! » حجة يبررها القانون الدولي ! والمجتمع الدولي ! للتدخل عسكريا في الاردن . متى يا ترى واين كان الامبرياليون ينتظرون حجة يبررها « القانون الدولي والمجتمع الدولي » للتدخل عسكريا من اجل حماية الانظمة العميلة لهم ؟ اي قانون هذا واين هو ذلك المجتمع اللذان بررا حجة الامبرياليين الاميركيين للتدخل عسكريا من اجل حماية الانظمة العميلة لهم ؟ اي قانون هذا وأين هو ذلك المجتمع اللذان بررا حجة الامبرياليين الاميركيين للتدخل عسكريا في فيتنام وفي بقاع كثيرة من العالم ؟ يبدو ان بعثيي العراق يستبعدون امكان التدخل المباشر للامبريالية في أمكنة عديدة من العالم الا اذا ما اتفق هذا التدخل مع « روح الشرائع » .

في الواقع ان التدخل الاميركي في الاردن لم يكن محتمل الوقوع الا اذا اصاب الضعف مواقع النظام العميل في الاردن وبات مهددا بالانهيار . يضاف الى ذلك ان الامبريالية الاميركية تملك في المنطقة العربية قاعدة — اسمها اسرائيل — أبدت استعدادها للقيام بهجوم ساحق على الاردن ، اذا ما اسفر النزاع فيه « عن تعريض حدودها للخطر » .

وطبيعي أن ساسة اسرائيل حينما يرسلون مثل هذا الكلام يشيرون الى أن انتصار المقاومة هو ما يعتبرونه خطرا على حدودهم . عليه كان وضع المعركة في الاردن أمام « الخيار » التالي : اما أن تنتصر المقاومة فتنقض عليها من الخارج قوى امبريالية او صهيونية لتقضي عليها وتسلبها انتصارها ، واما ان ينتصر نظام حسين فيكون قد اتم مهمة الاجهاز على المقاومة دون حاجة الى معونة اجنبية . هذا يعني أن الحكم في العراق ، حين أراد أن « يتحاشى » تدخل العدو في الاردن ، كان يعلن موافقته على تصفية المقاومة — مهما كان « عطفه » الكاذب عليها — او كان يسلم بحتمية هزيمتها. اما سبب هذا التسليم فواضح : وهو رفض الحكم العراقي أن يدخل في اية معركة فعلية يؤدي دخوله فيها — اذا اثر على الميزان العسكري — الى « توريطه » في صراعمكشوف مع الامبريالية ، او مع اسرائيل .

كان انتصار المقاومة — اية كانت اسبابه — سيؤدي الى تدخل اجنبي لتصفية المقاومة — أية كانت ذرائع هذا التدخل . والذين ارادوا أن يتحاشوا دخول العدو الفعلي الى المعركة — لعجزهم عن منازلته — ارادوا أيضا أن يتحاشوا انتصار المقاومة .

أما ادعاء الحكم العراقي ان دوره تجاه المقاومة « انما يتحدد بتقديم المساعدة بالسلاح والعتاد » ... لا يعدو ادعاء ما ليس له . فالاسلحة التي تتلقاها المقاومة من العراق هي اسلحة صينية تصل الى بعض المرافىء العربية المجاورة للعراق ويقتصر دور هذا الاخير على السماح بمرورها عبر اراضيه الى اماكن المقاومة في الاردن .

أما المقاومة الفلسطينية وهي تتعرض لمؤامرة النظام الاردني العميل فلم تكن تطالب الجيش العراقي أن « يخوض معركة الفدائيين بديلا عنهم » وهو ما لا يجيزه البيان العراقي دون سبب موجب يدفعه الى ذلك ، ما كانت تطالب به المقاومة هو وضع التزامات العراق على محك الفعل بقيام قواته الموجودة في الاردن بمساندة الفدائيين وهو أمر تؤكد المساندة السورية انه غير مستحيل .

ان الحرص « حرصا شديدا على الصعيد السياسي والاعلامي قبل المعارك واثناءها على التنسيق الكامل مع المقاومة » (من بيان « مجلس قيادة الثورة » العراقي) هو الحرص الوحيد الذي يمكن للحكم العراقي أن يدعيه لنفسه . وبالتاكيد ان اسرائيل لن تدكها مدفعية .... اذاعة بغداد . ما تقدر عليه هو اظهار النيات الحسنة للحكمالعراقي تجاه المقاومة في كل ظرف يتطلب ذلك ، سوى ان درب الجحيم ، كما يقال ، مفروش بالنيات الحسنة !!.

الخليج العربي

انجازات على طريق الثورة

- تحرير ٩٠٪ من اراضي منطقة ظفار
- تحرير الرقيق .. تحرير المرأة
- بناء مدارس ومراكز محو الأميّة

هذا المقال عن انجازات ثورة ظفار التي تقودها الجبهة الشعبية لتحرير الخليج المحتل جاء في نشرة ٩ يونيو التي يصدرها مكتب الجبهة في عدن :

تقاس عظمة اية ثورة بما تنجزه مناعمال عظيمة وخالدة في شتى مجالات الحياة . فالثورة الحقيقية هي التي تعمل ومنذ الساعات الاولى من عمرها على ترسيخ مفاهيمها الثورية لدى الجماهير وتطوير وبناء الانسان وتحويله من شخص مستعبد متشبع بالافكار الرجعية القديمة الى انسان ثوري واع ساخط على ما اعتاد عليه من حياة رجعية متخلفة . منقلبا على نفسه ومجتمعه عاملا على تغيير ما علق بذهنه وبذهن غيره من افراد المجتمع الذي يعيش فيه من أفكار بالية متحجرة . واذا عدنا الى ما انجزته ثورة التاسع من يونيو ١٩٦٥ في شتى المجالات ليتضح لنا مدى عمقواصالة هذه الثورة . ونحن عندما نستعرض بعض انجازات الثورة لا يعني ذلك ان هذه الانجازات هي كل ما تطمح اليه الثورة بل انه وفي ظل الظروف الصعبة والقاسية التي تعيشها الثورة يعتبر هذا العمل شيئا رائعا وجليلا ، والان نستعرض وبشكل مقتضب بعض انجازات الثورة بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل ، والتي تتمثل فيما يلي :

اولا : في المجال العسكري حققت الثورة الانتصارات التالية :

١ — احرزت الثورة انتصارات عسكرية عظيمة على قوات الاحتلال البريطاني فيمنطقة « ظفار » بحيث اصبح العدو في موقف دفاع بعد أن كان يشكل تهديدا مستمرا على الثوار . فتمكن جيش التحرير الشعبي والميليشيا الشعبية أن يبثوا الذعر والرعب في قلوب مرتزقة جيش الاحتلال البريطاني ، مما جعل الكثير من الجنود يهربون من الجيش والبعض يرفض تجديد الاتفاقية المعقودة بينه وبين جيش الاحتلال الفاشل . كما أن عددا كبيرا من جنود جيشالاحتلال البريطانيوالذين من اصل عماني التحقوا بجيش التحرير وذلك بعد أن تبين لهم عدالة القضية التي يحارب من أجلها جيش التحرير وسخف وضعفالقيادة التييحارب تحتظلها جيش الاحتلالالبريطاني.

٢ — تصعيد النضال المسلح على مستوى ساحة الخليج العربي وتفجير بؤرة ثورية في منطقة عمان الداخل .

٣ — تحرير ٩٠ بالمئة من اراضي منطقة ظفار مع توفيرالحماية والامن لجميع السكان القاطنين على هذه الارض المحررة .

٤ — بناء جيش التحرير الشعبي على احدث النظم العسكرية الثورية ورفع كفاءته القتالية وترسيخ الفكر الثوري العقائدي بين صفوف رجاله ليصبح جيشا عقائديا يحمي مصالح الجماهير الفقيرة والكادحة .

٥ — بناء مليشيا شعبية ثورية مؤمنة بالفكر الثوري العلمي .

ثانيا : في المجال الاجتماعي

اعطت الثورة اهتماما بالغا للناحية الاجتماعية وعملت على تحقيق الاتي :

١ — خلق ارضية عريضة من الوعي الثوري الجماهيري وذلك بتوعية الجماهير فكريا وسياسيا وربطهم باهداف الثورة ومصلحة الفقراء .

٢ — اصدار قرار تحرير الرقيقوهيالظاهرة البشعة واللاانسانية التي كانت تسود مجتمع ما قبل الثورة حيث كان الرقيق يشكل اسوأ استغلال انساني واحط صورة من صور هدر قيمة الانسان وكرامته وانسانيته .

٣ — تحرير المراة ، لقد انطلقت الثورة في نظرتها لحل قضية المراة من كون المراة مخلوق انساني يتساوى مع الرجل وليس هناك من مميزات فائقة لدى جنس على الاخر .

لقد ساوت الثورة بين الرجل والمراة في الحقوق والواجبات . فالمراة تتعلم في مدارس محو الامية وتشارك في القتال وتتدرب على السلاح وتعمل في الزراعة ولها جميع الحقوق التي للرجل في تقرير مصير الوطن ومصير الثورة .

لقد تفجرت طاقات المراة في بلادنا وبدأت تنفض عنها السذاجة والتبلد الذي فرضعليها قرونا طويلة ، وبايجاز فهي تشارك الرجل في كل مجالات الثورة .

٤ — حل بعض المشاكل الاجتماعية والتي كانت عاملا مساعدا في تفكك شعب المنطقة ومصدرا للحقد والكراهية بين افراد الشعب كالتفرقة القبلية والحروب القبلية ومسالة الثأر وبعض المشاكل الاجتماعية الاخرى كالزواج وغيره من المشاكل الاجتماعية ، فقد وضعت الجبهة حلا ثوريا وحاسما لكل هذه القضايا فحرمت الثأر وتدخلت في حل الكثير من الخلافات القبلية . واستطاعت الثورة انتحول الانسان من الولاء الاعمى للقبيلة الى الولاء الثوري السليم للثورة . كما شكلت الثورة لجانا خاصة لحل المشاكل والقضايا اليومية بين المواطنين ، ومن ناحية الزواج فقد حددت الثورة مقدار المهر بمبلغ رمزي بسيط واعطت الحرية لكل من الرجل والمراة في اختيار شريكه الاخر دون فرض أو تدخل من احد .

ثورة ظفار وتحرير المراة من الامية

ثالثا : في مجال التعليم

ان الاستعمار البريطاني القذر وعملائه حكام مسقط عملوا على عزل شعبنا عن كل تطور حضاري وانساني . ومن ضمن هذا العزل التعليم ، قامت الثورة وكان من الامور الصعبة التي عانت وتعاني منها عدم وجود كوادر علمية تعتمد عليها الثورة في نشر التعليم والوعي الثوري ومكافحة الامية ومما زاد الامر تعقيدا وصعوبة ان الثورة قامت وسط بحر من الجهل والامية . وكان على الثورة ان تتجه سريعا للعمل على انشاء مدارس للاطفال ومراكز لمحو الامية والتوعية الجماهيرية . وبالرغم من الصعوباتوالنقص في الكوادر العلمية الا ان الثورة استطاعت ان تفتح عدة مدارس للاطفال وعدة مراكز لمحو الامية والتوعية في الارياف .

رابعا : في المجال الصحي

يعتبر هذا المجال من اعقد الامور واصعبها والتي يعاني منها الشعب اشد المعاناة ففي منطقة عمان السلطنة لا يوجد الا مستشفى صغير في مسقط . ومنذ قيام الثورة وهي تحاول ايجاد ولو طبيب واحد لمساعدتها في انقاذ العديد من الاطفال والنساء والشيوخ الذين هم عرضة باستمرار لفتك مختلف الامراض الا انه وللاسف الشديد لم تتمكن الثورة من الحصول على مثل هذا الطبيب الذي يملك المقدرة على التضحية للعمل مع الثورة في معالجة مرضاها .

وبالرغم من ذلك فقد اضطرت الثورة أن توفر عددا قليلا من المساعدين الصحيينللقيام بالاسعافات الاولية للمرضى . والثورة تأمل أن تجد من يتفهم لقضايا الثورة من اشقائنا الاطباء العرب لكي يتقدموا برغبتهم للعمل مع الثورة مساهمة منهم في تأدية واجبهم الانساني والوطني تجاه جزء من شعبهمالعربي يتعرض لابشع حرب وحشية تشنها عليه الامبريالية الغربية والرجعية العربية .

خامسا : في المجال الاقتصادي

في ظل حصار اقتصادي خانق من قبل الدوائر الاستعمارية في الخليج العربي على الثورة .. وفي ظل مجتمع رعوي في معظم وسائل انتاجه كان على الثورة أن تهتم بالناحية الاقتصادية لكي تتمكن من خلق وضع اقتصادي يمكنها من الاعتماد الذاتي فيتوفير المواد الغذائية وذلك في حالة محاصرتها وتطويقها من قبل الجهات المعادية للثورة . في هذا المجال شجعت الثورة السكان للاتجاه الى الزراعة . كما قام جيش التحرير باستصلاح اراض زراعية لمصلحة الثورة وفي مجال الري قامت الثورة ببناء عدة خزانات وسدود لتجميع المياه العذبة وتوفيرها للسكان . كما عملت الثورة على شق الطرق وتعبيدها لتسهيل عملية التنقل والاتصال بين المناطق المختلفة . وهذه بعض انجازات الثورة عبر مسيرتها النضالية وهي وان كانت انجازات بسيطة الا انه وبالنسبة لظروف الثورة وقلة امكانياتها تعتبر هذه الانجازات مجهودات جبارة استطاعت الثورة أن تحققها متحدية بذلك كافة الصعوبات والعراقيل التي يحاول الاستعمار والرجعية استخدامها واستغلالها للحد من نشاط الثورة وفعاليتها .

ولكن هذه الثورة التي اعتمدت الجماهير الفقيرة سندا لها ومادتها الاساسية سوف تحمل السلاح بيد ومعول البناء والتعمير باليد الاخرى حتى يتحقق النصر المؤزر وتندحر كافة القوى الاستعمارية والعميلة التي أرادت لشعبنا التخلف والجهل والفقر والمرض .



مشاكل الدخول للمدارس : إلى متى ؟

الكتاب المدرسي : غلاء - تعدد - احتكار

مع بداية تشرين تعود مشاكل التعليم ، لتطرح مجددا على الناس ، بشكل أكثر الحاحا من الاعوام الماضية ، لدرجة تفرض نفسها على تفكيرهم واهتماماتهم ، كون ابناءهم يعانون مباشرة مشاكل الدخول للمدارس والكتاب المدرسي وقضايا البرامج والاسقاط المتعمد في الامتحانات - المجازر . وفي مواجهتها لقضية التعليم تصطدم الطبقات الشعبية بمتاعب عديدة . لم تجد طريقا لحلها حتى الان ، ولم تدرك هذه الفئات ، في غالبها ، ما يربط بين جميع هذه القضايا واسبابها وكيفية الرد عليها .. وسنحاول أن نتعرض هنا لمشكلتي دخول الطلاب للمدارس الثانوية الرسمية ، والكتاب المدرسي .

ان النظام المتبع لادخال الطلاب الى الثانويات الرسمية ، يركز على ثلاث مسائل اساسية : السن - العلامات التي ينالها الطالب في الامتحانات الرسمية ، رسوم التسجيل . وسنحاول ان نبين كيف تمثل هذه المسائل عقبة امام دخول الطلاب لهذه الثانويات ، وكيف تخفي الدولة من خلالها خطتها بالعمل على تقليص التعليم الرسمي وأبعاد القسم الاكبر من ابناء الفئات الاجتماعية الكادحة عن هذه المدارس .

اولا : يحدد النظام المتبع في الثانويات الرسمية سنا معينة لكل صف - ١٣ سنة للاول تكميلي - لا تعني هذه النقطة في ظاهرها شيئا بقدر ما تعني تنظيم الدخول للمدارس . ولكننا متى عدنا الى اصول الطلاب الاجتماعية ، نجد ان غالبيتهم يعودون الى اصول ريفية (نزحوا في منتصف الخمسينيات - وينزحون الان لعدم توفر الخدمات الصحية والتعليمية والحماية في الجنوب بشكل خاص) . ففي الريف ، لا توجد صفوف للحضانة حتى في مدارس الدولة الوحيدة والقليلة الانتشار والعدد ، وهكذا يضطر الطالب وهو في سن السادسة من عمره أن يدخل الى صف تمهيدي . وهو بحكم هذه الحالة لن يحمل السرتفيكا في الثانية عشرة من عمره .. فهل يبقى خارج الثانوية الرسمية ؟.. هذا ما تريده انظمة وزارة التربية .

اليس من الواضح مدى الجدية في التصميم على ابعاد ابناء الكادحين ، حين نعلم ان فارق الشهر في العمر المطلوب ، يبقي الطالب خارج المدرسة ، عرضة لنهب مدراء المدارس التجارية الاستغلالية .

ثانيا : يركز النظام المتبع حاليا على كفاءة الطالب ، مجموع علاماته التي ينالها في الامتحانات الرسمية . وهو هنا يخدم ابناء الطبقات الميسورة ، اذ ان الوضع الاجتماعي والطبقي يلعبان دورا اساسيا في تحديد نسبة تحصيل الطالب العلمي . وتتضح هذه النقطة اكثر فاكثر ، متى علمنا ان الطبقات الغنية تعلم ابناءها في المدارس الاجنبية في البداية وحتى البروفيه . وبعدها تعمد الى نقلهم الى المدارس الرسمية لان التعليم الثانوي الرسمي لا يقل مستوى عن التعليم الثانوي الخاص . وهنا ، يمثل ابناء هذه الفئات منافسا قويا لابناء الفئات الكادحة . وبهذه النقطة تجد الدولة التغطية اللازمة لابقاء «الطلاب الفقراء» خارج المدارس ، بدل أن تعمد الى بناء الثانويات لاستيعاب الفائض الطلابي الضخم ، وهي بهذا المبرر ، تنفذ خطة مرسومة للقضاء على تطور التعليم الرسمي (في لبنان ٣٨ ثانوية رسمية من اصل ٢٥٨ ثانوية اي ١٥ر١ ٪) .

القانون هنا محق بظاهره (في منطق النظام هذا يعني التنافس الحر !!) اذ يقول بضرورة اعلان اسماء المقبولين وعدم المقبولين مع ذكر علاماتهم . ولكن المدارس الثانوية الرسمية لا تفعل ذلك ابدا ، لعل هذا يدفعنا للتفتيش عن المستوى الذي يتم به تطبيق هكذا نظام .

ثالثا : يحدد القانون ١٥ ليرة كرسم تسجيل للمرحلة التكميلية و٢٠ ليرة للمرحلة الثانوية ، ويسمح للمدرسة بجباية ٥ ليرات عن المرحلة الاولى و ٧ ليرات عن المرحلة الثانية لصندوق المدرسة .

يبدو ظاهرا ان الطلاب يتم ابعادهم بطريقة شرعية كما هو واضح من نصوص القانون المتبع . ولكننا سنعمد وبنفس الترتيب الى اثبات ان تطبيق هذه النصوص يمثل مرحلة ثانية من الابعاد .

الظاهرة الاساسية التي تحكم تطبيق مثل هذه النصوص هي الارتكاز على الواسطة وخضوع المديرين للاقطاع السياسي المحلي . والواسطة هنا مع التدخل يلعبان دورا مهما في قبول الطلاب . ويعرض عدم قبولهما من قبل الادارة لاشد العقوبات .

فقد تعرضت ادارة احدى الثانويات الرسمية لتفتيش دقيق وخبيث ، في محاولة لالتقاط مخالفة يمكن ان تكون دليل اتهام على هذه الادارة لانها رفضت ان تقبل واسطة رئيس الوزراء في ذلك الحين !

فعامل السن ليس الا مظهرا شكليا في القانون في حال تدخل احد الموظفين الكبار او احد الاقطاعيين السياسيين . القانون هنا مادة مطاطة تشد على أبناء الكادحين وترخى عندما تتدخل الواسطة ... ولعل فعالية الواسطة تتضح عند اخذنا بعض الامثلة الحقيقية :

- رفض احد الطلاب في احدى ثانويات الساحل بحجة عدم توفر اماكن في صف البكالوريا ... بعد اسبوع فقط ادخل المدير سبعة طلاب الى الصف نفسه ... بالطبع لا يدرك هذه الاعجوبة الا مدراء المدارس الذين يحفظون اماكن معينة لتنفيع الاقطاع السياسي في هذه الصفوف .

- رفض احد الطلاب وكان ذكيا جدا . اذ اتصل بعد ساعة بالمدير مدعيا انه احد النواب طالبا تدبير امره ، واذا به يعود فائزا بمقعد في الصف الذي رفض منه .

ولا يقتصر نفوذ الاقطاع السياسي على عامل السن فقط . بل هو يتدخل ثانية في العلامات المطلوبة . اذ يرتبها حسب حاجاته وليس حتى حسب كفاءة الطلاب ... ولنذكر بعض الامثلة :

- تطلب الثانويات الرسمية من طلاب البكالوريا الحصول على معدل ٢٠/١٢ في الرياضيات والعلوم حتى يقبلوا في صف الرياضيات (الثانويات الخاصة لا تطلب في غالبها هذه العلامات) هذا الطلب بحد ذاته غير قانوني لان الطلاب ناجحون ويحق لهم الدخول للصف . ولكن ما يحدث هو على شاكلة هذا المثل الحقيقي : لم يحصل أحد الطلاب على المعدل المطلوب . ولكن خاله موظف كبير غير مدني . رفض في الاول ولكنه دخل الصف !.

- مجموع علامات أحد الطلاب ٩٠ علامة في السرتفيكا .. المقبولين كانت علاماتهم من ٧٢ علامة وفوق .. لكنه مرفوض .. لا احد يدري الاسباب ، اثيرت المشكلة مع التفتيش .. هدد هذا الاخير وتوعد المدير بكبير الحساب الذي تقلص بعد أسبوع الى لفلفة المسألة .. لعل هذا يلقي ضوءا على الدور الذي يقوم به المفتشون في الوزارة المصونة .

ولا بد من التذكير بان بعض المدراء الثانويين يديرون مدارس اخرى خاصة . وهم يرفضون طلبات « غير قانونية » ويضغطون على التلامذة للالتحاق بمدارسهم الخاصة واعدين اياهم بادخالهم الى المدرسة الرسمية في « العام القادم انشاء الله » .

اما فيما يختص برسوم التسجيل المدرسية . فيكفي ان نذكر ما يلي : تأخذ ثانوية برج البراجنة ١٠ ليرات زيادة على الرسم الحقيقي للمرحلة التكميلية و ١٥ ليرة زيادة على رسم المرحلة الثانوية . ولعل ثانوية الاشرفية تكفي لتوضيح الموضوع ففي السنة الماضية ، اخذت الادارة (المدير + الناظر الاول) ١٣ ليرة زيادة للمرحلة التكميلية و ١٥ ليرة زيادة للثانوية . وتحت الضغط الغوا هذه الزيادة هذا العام ليفتحوا أبوابا جديدة !!

- ليرة ثمن طلب تسجيل (هذا عدا الطابع الاميري بـ ٥٠ قرش) .

- ليرتان ثمن بطاقة مدرسية (باقي المدارس تقدمها بدون ثمن) .

- ٥ ليرات من كل طالب (١٢٠٠ طالب) لنادي المدرسة الغير موجود اساسا .

- ٥ ليرات من كل طالب للتطبيب ومعروف ان الاطباء لا يقربون ابدا الثانويات الرسمية (لعل المدير والناظر كانا يفكران قبل الدولة بالضمان الصحي) .

- ٥ ليرات شهريا من كل استاذ لصندوق سمي « صندوق الاساتذة » .

- جمع من الطلاب ثمن برادي ولم يشتر بالمبلغ شيئا .

بهذه الطريقة يحصل المدير على حوالي عشرين الفا في العام - عدا معاشه الشهري - فيبدأ يدين بالفائض . ويتغاضى عن الاساتذة الذين يعرفون الموضوع (الغياب - التأخر - المخالفات - سوء معاملة الطلاب) .

الكتاب المدرسي :

اما قضية الكتاب المدرسي فهي متعددة الجوانب ، مختلفة الابعاد . ابرز مظاهرها غلاء - تعدد - احتكار وتحول الكتاب من وسيلة لنشر العلم الى وسيلة لتحقيق المزيد من الارباح . وهناك نوعان من الكتب الكتاب المحلي والكتاب الاجنبي .

الكتاب المحلي :

الظاهرة الاولى التي تبرز هي ظاهرة غلاء

— البقية على الصفحة ١٥ —



ساحة المعازارية : بين اصحاب « بسطات » الكتب والتلاميذ ..

خدمة للفئات الغنية على حساب معيشة الفئات الكادحة

قانون الرسوم البلدية

ان مجموعة الضرائب والرسوم في مجتمع ما واشكال وطرق تكوينها وتحصيلها وتنظيمها ، ترجع الى طبيعة النظام الضرائبي الذي يعتبر جزءا من النظام المالي في الدولة . كما انه يوجد هيئات ومؤسسات تقوم ، بالاضافة الى دورها الاداري ، بتكوين موارد الدولة ودخلها واستخدام هذا الدخل وتلك الموارد وتنفقها على الاهداف التي تتفق مع مهامها ووظائفها .

وفي لبنان بالاضافة الى وزارة المالية التي تقوم بعمليات الدولة المالية ، يوجد هيئات مركزية ومؤسسات محلية في المحافظات والاقضية والقرى تتمثل في البلديات . والمعروف في البلدان الرأسمالية والبلدان المرتبطة اقتصاديا بالامبريالية ، وخاصة بلدان العالم الثالث كلبنان ، ان المصدر الرئيسي للموارد المالية هي الضرائب والرسوم على الكادحين التي تشكل ما يقارب ثلث دخلهم ، يضطرون لتسليمها الى الدولة - دولة الطبقة المهيمنة سياسيا واقتصاديا - وفي لبنان تقوم الطبقة المسيطرة ، المتمثلة بتحالف الاقطاع والبورجوازية ، بمعونة الدولة للحصول على الارباح بالقاء الجزء الاكبر من اعباء الضرائب والرسوم على كاهل الفئات الكادحة والفقيرة من السكان . وهكذا تتم عملية الاستغلال للجماهير الشعبية فتفرض الضرائب الباهظة والمتعددة بحجة القيام باعمال التنمية وانشاء المشاريع التي لا تخدم بالتالي الا مصلحة الرأسماليين المحتكرين ، كما انه تفرض الرسوم على المواد الغذائية والحاجات الضرورية وعلى بيوت السكن وغيرها لتغذية صناديق الدولة ومؤسساتها بحجة القيام بالمشاريع التي ترفع من مستوى الشعب . والحقيقة انها ليست الا صناديق تدخر فيها اموال الشعب لتعود وتصرف حسب مقتضيات مصالح الاقطاع السياسي وحليفتها البورجوازية . وليست التشريعات والقوانين التي تقرها الدولة الا وسائل تلعب دورا أساسيا بتمكين هيمنة الطبقة الحاكمة على الطبقة الاخرى من عمال وفلاحين ، كما تسمح باستمرار السيطرة والاستغلال الدائم تحت عناوين الحقوق والواجبات التي ليست الا كما تفهمها الدولة وبقدر ما تخدم القلة التي تمثلها وتحقق لها مشاريعها الرابحة وتخلق المناخ الطيب لضمان مصالحها وخدمة مآربها .

لهذا فان قانون الرسوم البلدية الذي يتضمن ستة عشر نوعا من الرسوم ويرعى أصول تصفيتها وتحصيلها هو من صنع الحكومة اللبنانية المعطاة حق التشريع في القضايا الاقتصادية والمالية من قبل مجلس الوزراء .

وهذا القانون بنصوصه الواردة وغموض بعضها يجعل من تطبيقه مجالا للوساطات والمداخلات التي يحتاجها القيمون على تنفيذه للمحافظة على مراكزهم وتحقيق المكاسب المادية والشخصية لهم ولاربابهم اصحاب المؤسسات المالية والتجارية .

وان ما نريد تناوله الان من هذا القانون : الاحكام المتعلقة في الرسم على القيمة التأجيرية ويعني هذا : الرسم الذي يفرض على شاغلي الابنية سواء كانت وجهة الاشغال معدة للسكن أو للتجارة والصناعة او لاية غاية اخرى .

ان المادة ٧ - تحدد المعدلات السنوية للرسم المذكور ، فبيوت السكن التي تتراوح قيمتها التأجيرية بين ليرة واحدة واربعة الاف ليرة يفرض عليها الرسم بشكل تصاعدي بنسب تتراوح بين ٣ و ٤ و ٥ بالمئة والقيم من ٤٠٠٠ - ٨٠٠٠ بنسبة مقطوعة ٧ بالمئة وما يزيد عن ٨٠٠٠ ل.ل. بنسبة مقطوعة ١٠ بالمئة - ماذا يتبين من توزيع هذه النسب ؟..

من الواضح ان غالبية الشعب اللبناني من ذوى الدخل المحدود والدخل المتوسط ، تسكن بيوتا تتراوح قيمها التأجيرية من ليرة الى ٤٠٠٠ ل.ل وبالاضافة الى ان هذه الغالبية تدفع ايجارا لسكنها يعادل ٤٠ بالمئة من دخلها ، يأتي قانون الرسوم ليطبق عليها وحدها النسبة التصاعدية لفرض الرسم ويحملها اعباء دخل البلدية من واردات هذا الرسم .

وفي الوقت الذي يتطلب تحميل اعباء مداخيل الدولة المالية بصورة اساسية على أصحاب المصالح المالية والامتيازات والاستثمارات ، نجد ان النسب التصاعدية لا تطبق على هذه الفئات مالكة المؤسسات المالية والاقتصادية والتجارية والتي تدر من ورائها اربحا باهظة عن طريق استغلالها واستثمارها لقوة عمل وجهد الفئات الفقيرة الكادحة . هذا وان جميع المؤسسات والشركات التجارية والمطاعم الكبيرة والمقاهي والفنادق والحمامات التي تراكم الارباح تفوق قيمها التأجيرية عشرة الاف ليرة ولا تفرض عليها الرسوم الا بنسبة مقطوعة ١١ بالمئة بزيادة نسبة ١ بالمئة فقط عن بيوت السكن .

اذن هذه المادة وضعت لتراعي مصالح الاغنياء اصحاب النفوذ الاقتصادي والسياسي المسيطرين على مقدرات هذا البلد وذلك على حساب مصالح ومعيشة الفئات الشعبية الكادحة .

اما المادة الثانية من هذا القانون فتاتي لتكمل مضمون المادة السابقة لتبين التوافق بين مصلحة المالك ومصلحة البلدية على حساب المستاجر العادي . تنص المادة ٨ - على ما يلي : يفرض الرسم على أساس مجموع القيمة التأجيرية الحقيقية او المقدرة . ان الغموض في هذا النص لا يسمح بفهم ماذا تعني القيمة التأجيرية « الحقيقية » علما بان هذا النص بكامله يعتبر نسخة طبق الاصل عن أساسه من القانون العام الذي يحدد ضريبة الاملاك المبنية العائدة لوزارة المالية والتي تفرض على المالك .

فالدولة لا تريد أن تلزم نفسها بتحديد « القيمة الحقيقية » فهي من جهة لا تريد أن تلجم مالك البناء وتلزمه بالقيم التي تحددها ، بل تطلق حريته ليتمكن من تحقيق الارباح التي يريد وهي من جهة اخرى تحمل لحسابها الخاص مما يمكنها من تامين مداخيل مرتفعة على شكل ضرائب ورسوم تستخدمها لتنفيذ اهدافها كجهاز يقوم بالدور الاساسي لخدمة ملاكي العقارات المبنية والتجار واصحاب المعامل والشركات . كما أن البلدية لم تشذ عن الغاية نفسها كمؤسسة محلية من مؤسسات الدولة ، فهي تعطي تفسيرا قانونيا للنص وتعتبر أن القيمة « الحقيقية » هي قيمة عقد الايجار « المتفق » عليه بين المالك والمستاجر والمسجل في دائرة تسجيل العقود التاجيرية في البلدية .

اذا كانت وزارة المالية تركت النص غامضا فان السلطة البلدية بما لها من مصالح ونفوذ اضفت صفة الشرعية والحق على القيمة التي يحددها المالك على مزاجه ، ايجارا لشقة في بنايته ، فتكتمل الصورة بوجهيها : اولا حرية المالك بفرض القيمة التي يريدها ، والثاني يمكن البلدية من تحقيق مداخيل مرتفعة من الرسوم المطروحة . والذي يزيد قيمة الرسم على المستاجر ، اعتبار المواصفات التي اصبحت من مواصفات السكن ، كالتدفئة والتبريد والماء الساخن والمصاعد الكهربائية والتي تساوي من ١٣ - ٢٠ بالمئة من قيمة الايجار ، خاضعة لفرض الرسم . وهذا يعني أن من يريد اتقاء شر البرد او أن يتحمم في الماء الساخن او يصعد في « الاسانسور » عليه أن يدفع رسما للبلدية .

أما « القيمة المقدرة » فهي : « القيمة التي تتولى البلدية تقديرها في حال عدم وجود تخمينات مالية او عدم وجود عقد ايجار مسجل » كما تنص المادة العاشرة . (ملاحظة : لا يوجد عقد ايجار الا للبيوت المؤجرة فقط والجدير بالذكر أن تخمين وزارة المالية يعتبر لاغيا في حال وجود عقد ايجار مسجل مما يعني أن التخمين يعتبر ساري المفعول ومعتمدا لفرض الرسم البلدي فقط للشقق والبيوت التي يسكنها مالكوها او التي يشغلها اصحابها اذ أن البلدية ملزمة في هذه الحالة باعتماد التخمين المالي) .

والمعروف بوجه عام ان مالكي الشقق وبيوت السكن والابنية الاخرى التي تستعمل لغايات تجارية هم من الفئات الغنية التي يمكنها تحمل الضرائب والرسوم ، لكن الواقع يختلف تماما اذ ان عملية التخمين في وزارة المالية يقوم بها مراقب ضريبة الاملاك المبنية وتصبح سارية المفعول بعد تاشيرة رئيسه وهذه العملية تخضع للرشوة والوساطة اذ أن المالك يسعى باستمرار لتخفيض القيمة المقدرة للتهرب من دفع الرسوم والضرائب . ومن النادر ان تتوافق القيمة المخمنة في المالية مع القيمة الظاهرة في عقد الايجار وفيما يلي جدولا يبين الفرق بين قيمة التخمين وقيمة العقد :

قيمة العقد	قيمة التخمين
١٨٠٠	١٢٠٠
٢٥٠٠	١٧٠٠
٣٠٠٠	٢٢٠٠
٤٠٠٠	٢٠٠٠
٤٥٠٠	٢٢٠٠

وفي كثير من الحالات يتهرب المالك من تسجيل العقود التاجيرية لتخفيف الضريبة عن طريق اعتماد التخمين المالي او يتاخر في التسجيل لفترة اخر السنة وحتى لا تعتمد البلدية في هذه الحالة التخمين المالي مما يخفف كثيرا من قيمة الرسوم عن كاهل الاكثرية من الفئات الكادحة ، احتاط المشترع للامر واجاب عليه في المادة الحادية عشر :

« تعتمد اساسا للتقدير قيمة بدل الايجار المتفق عليها بين المؤجر والمستاجر اذا أمكن معرفتها والتثبت من صحتها » . وبالطبع يمكن بسهولة معرفة القيمة المتفق عليها والتثبت منها عن طريق العقد الذي يبرزه المستاجر دون أن يكون مسجلا ، اذ انه لم يحصل اطلاقا اشغال الماجور من قبل المستاجر الا بعد الاتفاق مع المالك على قيمة العقد . ان التناقض بين النصوص الواردة والواقع الذي تمثله ليس امرا ناتجا عن سهو المشترع او جهله وانما اراد أن يبني نظاما من المفاهيم ويضعه لخدمة الطبقة والفئات التي تمثلها الدولة واجهزتها المالية والاقتصادية والتجارية .

ان هذا النهج الذي تعتمده الدولة في التشريعات المالية يخدم بجوهره مصالح الفئات البورجوازية المسيطرة ويثقل كاهل الفئات الشعبية ، فبينما تعمل الدولة للابقاء على مصالح الطبقة التي تمثلها وتضمن حريتها وامتيازاتها واستثماراتها ، تعاني الفئات الشعبية باغلبيتها من سياستها المرهقة في ميادين الاجور والضرائب والخدمات الاجتماعية .

« البقية في عدد قادم »

تقرير عن :

عمال الأفران وعلاقتهم بالنقابة

ان عمال الافران يمارسون مهنتهم في ظروف من الاستغلال البشع نظرا لتفككهم وتبعثرهم وطبيعة عملهم واصولهم الاجتماعية التي تجعل منهم عمالا عاجزين عن النضال لتحسين مستوى معيشتهم . وبينما النقابة لا تدري بشيء ، يكتفي رئيسها بأن يتنقل من مكتبه الى مكتب جامعة النقابات الى الاتحاد العمالي العام الى مجلس ادارة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي دون القيام بأي عمل لصالح عمال الافران .

الفلاحون السوريون يشكلون غالبية العمال

ان نظرة على تقسيم العمال واصولهم الاجتماعية تبرز بصورة واضحة أن ٧٠ — ٧٥ بالمئة من العمال هم من السوريين الذين ياتون من الريف كي يدخروا بعض المال لمساعدة عائلاتهم في سوريا . وبالطبع فانهم على استعداد لتحمل اقسى الظروف ويقبلون بأي سعر وباقسى معاملة لانهم ان لم يجدوا عملا في الافران فسيكون مصيرهم عمال بناء أو فعلة او سواها من الاعمال القاسية التي لا يقوم بها اللبنانيون عادة . وبحكم كونهم من المهاجرين فهم في تقلب دائم ما عدا قلة ثابتة ، وذلك بحكم ضغط القوانين اللبنانية المتعلقة بالهجرة وخاصة ذاك القرار الذي وضع بعد ٥ حزيران والقاضي بالسماح للسوريين بالعمل بدون اجازة مسبقة بشرط أن يؤشروا على بطاقة الدخول كل ثلاثة اشهر وهذا ما يضعهم تحت طائلة الطرد من البلاد في حال ورود اي تقرير بحقهم وان كان زورا .

والبقية من العمال يتوزعون بين أتراك واكراد نسبتهم ٥ بالمئة ولبنانيين ونسبتهم ٢٥ — ٣٠ بالمئة تعمل غالبيتهم في افراد الخبز الافرنجي حيث ظروف العمل ارحم .. والاجور اعلى !.

ان هذا الواقع الاجتماعي للعمال يترك المجال واسعا أمام مزيد من استغلال اصحاب الافران للعمال حيث تتراوح ساعات العمل ما بين ١٢ الى ١٦ ساعة يوميا (فرن ابو علي زبيب في الحمرا) . حيث لا ياخذ العمال ساعة راحة أو يوم عطلة اسبوعية أو راحة سنوية . وتحسم عليهم أيام المرض . أما في حالة العطل الدائم فان صاحب الفرن لا يتحمل أية مسؤولية واذا اصر العامل على المطالبة بحقه فامامه المحكمة التي اذا حكمت له خلال سنوات فانها لا تحكم باكثر من اجرة المحامي .

وفي حال تغيب العامل بسبب من ظروف عائلية او بسبب التعب فان صاحب الفرن يأتي بعامل غيره من مقهى عمال الافران العاطلين عن العمل ويدفع له ما يطلب من اجرة التي عادة تكون اكثر من الاجرة المعتادة بأربع او خمس ليرات يدفع رب العمل للعامل المؤقت الاجرة الاعتيادية ويدفع العامل الغائب الفرق وكي يتم ذلك فان صاحب الفرن يحتجز قسما من اجرة العامل لديه لتنفيذ هذا العقاب واكثر من ذلك فان العامل اذا تأخر عن استلام عمله الساعة ١٢ ليلا فان رب العمل يرسل وراءه سيارة خاصة « تاكسي » ذهابا وايابا ويدفع اجرتها من المبلغ المحتجز!

وحتى يتفادى العامل هذه المسألة فانه يفضل النوم في الفرن أحيانا فوق أكياس الطحين واحيانا على الرصيف ملتفا بكيس من الخيش او الخام في الصيف وبكيس من النايلون في الشتاء .

تقسيم العمل والساعات الاضافية

ينقسم العمل في الفرن الى وظائف تاتي في طليعتها وظيفة الخباز (ويلقب بسيخ الشاورما) ، والعجان ، والفتيح ، والكسير وعامل السهلة ، والنخيل ، يضاف اليهم عامل أو اثنان من الاحداث في فصل الشتاء حيث يزداد الطلب على الخبز بعد نزول المصطافين من الجبل . الا ان هذه الزيادة ليست بحجم مناسب لتشغيل ورشة عمل ثابتة . من هنا يعمد صاحب الفرن الى تمديد يوم العمل بتشغيل عماله ساعات اضافية مجانا ، واذا ما حاول احد العمال اللبنانيين ان يحتج فان مصيره الطرد ويقول له صاحب الفرن العبارة الشهيرة : « تقاعدك في الضمان » . أما اذا كان العامل سوريا فيهدده بتقديم تقرير (مزور طبعا) الى الاجهزة .

و « سيخ الشاورما » هي تسمية للخباز الذي — بحكم عمله — يظل يدور امام بيت النار طيلة ساعات العمل . وفي احيان كثيرة تكون نتائج هذا العمل المرهق أن يسقط العامل مغميا عليه ، واحيانا يصاب بالشلل .

وسائل النضال

ازاء هذا الوضع لم يستكن العمال ،ولكن نظرا لتفككهم وتبعثرهم ، مضافا الى ذلك خيانة النقابة ، فان نضال عمال الافران ما زال يتخذ شكلا فردا يتجسد في الانتقام الفردي من أصحاب الافران او تعطيل بعض الالات .

الضمان الاجتماعي

يقوم أصحاب الافران بالتحايل على الضمان الاجتماعي ، ويتخذ هذا التحايل الاشكال التالية :

١ — بالرغم من أن عدد العمال سبعة فان اصحاب الافران لا يسجلون الا خمسة فقط وذلك للاستفادة من الاشتراك المخفض حسب التعديل الجديد الذي يوجب على كل رب عمل دفع مبلغ ٧ ليرات عن كل عامل فيمؤسسته اذا لم يزد عدد العمال عن ٥ اشخاص سواء كان العامل متزوجا أو اعزب .

٢ — يجبر رب العمل العمال المتزوجين على أن يدفعوا هم قيمة الاشتراك باعتبار انهم سيقبضون في اخر الشهر التعويض العائلي البالغ ٦٠ ليرة .

٣ — ينقص رب العمل اجرة العامل المتزوج ليرة واحدة يوميا . فالعامل الذي يتقاضى مثلا ثماني ليرات يدفع له صاحب الفرن سبعة فقط على أساس انه سيتقاضى التعويض العائلي وقدره ٦٠ ليرة اي بمعدل ليرتين يوميا . فبدلا من أن تصبح اجرة العامل (مع التعويض) ١٠ ليرات ، تصبح ،بمشيئة صاحب العمل وارادته ، ٩ ليرات فقط .

وبعملية حسابية بسيطة نجد ان المستفيدين الحقيقيين من الضمان هم اصحاب الافران انفسهم :

— ٣٠ ليرة تخفيض الاجرة اليومية + ٧ ليرات اشتراك = ٣٧ ليرة

— يقبض العامل المتزوج ٦٠ ليرة — ٣٧ = ٢٣ ليرة معاشا لعائلته .

ويتضح من ذلك ان رب العمل يقبض ٣٧ ليرة بينما العامل لا يقبض سوى ٢٣ ليرة فقط. اي ، بعبارة اخرى ، أن نصيب عائلة العامل من الضمان ٧٦ قرشا يوميا !

النقابة :

واضح أن النقابة تعيش في غربة عن العمال ، وبعيدة تماما عن تمثيل مصالحهم ، وقد رفعت بينها وبين العمال حاجزا عاليا حيث فرضت اشتراكا شهريا قدره ٣ ليرات وهو ليس في طاقة العامل اطلاقا .

اما اولئك العمال المحظوظون الذين كانوا اعضاء قدماء في النقابة فقد عمل النقيب حسين علي حسين على توظيفهم في مهنة اخرى لا تمت لمهنة الافران بصلة واحتفظوا — مع ذلك — ببطاقة عضوية النقابة حيث يقومون بدورهم في التجديد لانتخابه سنة بعد سنة ملصقين به تهمة تمثيل عمال الافران ، لا بل تمثيل كافة عمال لبنان بالتضامن مع شريكه الاخر غبريال خوري . وحسين علي حسين يستند الى هذه التهم وشهادات الزور ليصبح رئيسا لجامعة النقابات المستقلة، وعضوا في المجلس التنفيذي في الاتحاد العمالي العام !

ونظرة بسيطة على « انجازات » النقابة توضح مواقعها الفعلية : فقد لوحت النقابة في عام ١٩٥٢ بالاضراب لتحقيق صفقة مع سامي الصلح . ثم عقدت اتفاقا مع اصحاب الافران ينص على أن الافران التي تصنع اقل من ٦ اكياس طحين يخضع تحديد الاجور فيها للاتفاق بين العمال وارباب عملهم . اما الافران التي يزيد انتاجها عن ٦ اكياس فتكون اجور العجان ١٣٥ قرشا و ٢٠٠ قرش للخباز و ١٠٠ قرش للباقين . اي ان الاتفاق كان لصالح اصحاب الافران الكبيرة حيث ترك البند الاول وهو تحديد الاجور رهنا بالعرض والطلب ، في الوقت الذي لم يحدد البند الثاني ساعات العمل .

اما اعظم « انجازات » النقابة فهو تخليها عن مهمتها في ايجاد عمل للعاطلين عن العمل واسنادها هذه المهمة لصاحب « قهوة الفرانة في المعرض » .

وفي الايام الاخيرة طالب اصحاب الافران الصغيرة بتحديد ساعات العمل لا حبا بالعمال كما قد يتبادر الى الذهن ، بل محاولة فاشلة منهم لتوقيف القانون التاريخي الرأسمالي القائل بان الانتاج الكبير يسحق الانتاج الصغير . وهم يحلمون ،بتحقيق حلمهم هذا، بزيادة انتاجهم وبالتالي ارباحهم . ومع هذا لم تحرك النقابة ساكنا ولم تستغل هذا الوضع لتطبيق قانون العمل القاضي بتحديد يوم العمل بثماني ساعات .

وكما قلنا في بداية هذا المقال فان اصول العمال وطبيعة وجودهم وعملهم المرهق في الافران ، وبالرغم من هذه الظروف القاسية ، يجعل العمل والنشاط بينهم من المهمات الصعبة ولكنها ليست المستحيلة بالتأكيد . اذ ان هذه الاوضاع تشير الى ضروة أن يكون العمل من خارج النقابة وذلك بتكتيل العمال اللبنانيين وانشاء رابطة للعمال السوريين تمهيدا للعمل على ازالة شرعية النقابة وتحطيمها من الخارج كي يفتح المجال واسعا امام انشاء نقابة عمال ديمقراطية حقا تأخذ بعين الاعتبار الدفاع عن العمال السوريين والاتراك والفلسطينيين .

قصة سوق الخضار الحديث في برج حمود

منذ سنة ونصف تقريبا ، ارتفع على الطريق الرئيسي لمنطقة برج حمود — سن الفيل ، سوق حديث للخضار كل شيء فيه يلفت الانظار : البسطات الحديثة ، الابواب السحابة ، سقف الاترنيت وحتى الحمامات ... انشرح بعض البسطاء وقالوا : اصبح لنا في برج حمود سوق حديث سقفه من الاترنيت يزين مدخل ازقة حي السكة ويضفي على بؤس المنطقة مسحة من التقدم .

لكن السوق الحديث بالاضافة الى البسطات والحمامات يحوي بعض البشر ، هؤلاء هم الباعة ، وما يثير العجب ان كل شيء في السوق حتى البسطات افضل حالا من الباعة المساكين . وجوه ذابلة مثقلة بذكرى النزوح من الارض وخراب الارزاق وعسف الريجي ، اجسام هزيلة وثياب مهلهلة وسيكارة «التاطلي» رفيقة الجميع .. لكن من قال ان اصحاب السوق الحديث لا يبالون بحالة هؤلاء ، الم يعلقوا في كل مكان من السوق نصائحهم الثمينة : « حافظ على صحتك بعدم الصراخ» .. « حافظ على النظافة » .. « الاوساخ تجلب الجراثيم » الخ ..

مآس عديدة مرت على وجوه الباعة الهزيلة ، وذكريات القمع ما زالت ماثلة في أذهانهم ، قمع السلطة ، واصحاب السوق .. والسوابق .

تراهم دائما يتشاجرون فيما بينهم بسبب وضع البسطات والمضاربات الى حد التضارب بالايدي . وراء كل ذلك بعض الازلام والمأجورين لاصحاب السوق الذين يفتعلون المشاكل بين الباعة حتى يثبتوا انفسهم أوصياء على السوق اذ يتراكضون على اثر كل مشكل متظاهرين بتهدئة الامور (تركوها بدقنا ... بسيطة .. كلنا اخوان ..) . ومنذ أيام حرض هؤلاء أحد الباعة على نقل بسطة الى جانب بسطة اخرى تبيع نفس النوع من الخضار ، فبدأت النزاعات بين البائعين اللذين يمضيان نهارهما في الخناق والتزاحم على الشارين ..

بعض التفاصيل عن وضع السوق :

عدد الباعة حاليا عشرون بائعا يملكون ستون بسطة . أي ان البعض يملك ست بسطات والبعض الاخر يملك ثلاثة وهكذا .. بالاضافة الى ذلك هنالك محلان لبيع اللحوم ودكان اخر لبيع المعلبات والمواد الغذائية الاخرى ..

صاحب السوق يشترك معه رئيس بلدية سن الفيل الذي كان الوسيط الاساسي لدفع الباعة الى المجيء للسوق الحديث بعد أن هدمت السلطة السوق القديم ..

بالاضافة الى الباعة واصحاب السوق ، يوجد بالطبع الازلام القبضايات التابعون لفلان أو فلان ..

كيف تهدم السوق القديم ؟

بعد أن انتهى بناء السوق الحديث ، قدم اصحاب السوق الى الباعة لاقناعهم بالانتقال اليه . لكن الباعة ، وكانوا يومها في سوق « مرعش» » حوالي المئتين ، يدفعون اجورا رخيصة : ٢٥ قرشا يوميا ، رفضوا باصرار . لم ينتقل منهم سوى بعض الكبار الذين يستطيعون دفع الايجارات المرتفعة ، ودفع اصحاب السوق بهؤلاء كي يحاولوا اقناع الباعة مجددا بالانتقال الى السوق الحديث ففشلوا أيضا ..

يومها كان محمد جواد المحرض الوحيد للباعة على عدم ترك السوق القديم ، كان يقول لهم لا تذهبوا الى السوق الجديد .. أما السبب فهو أن هذا الاخير كان يملك بالقرب من السوق دكانا يبيع فيه الكعك والحلوى والخبز واشياء اخرى .

عندما علم أصحاب السوق بقضية محمد جواد . قالوا : بسيطة ! دعوا محمد جواد وعقدوا معه اتفاقا : هم يدفعون له تعويض الدكان كاملا ، وهو يعود الى الباعة فيحرضهم على العودة الى السوق الجديد ..

وجاء محمد جواد الى الباعة محاولا اقناعهم ، لكن قصته كانت معروفة فلاقاه الباعة بصيحات السخرية والاستنكار وافهموه ان يبلغ « معلمينه » انهم لن يذهبوا الى السوق الحديث .

عند ذلك لم يعد أمام اصحاب السوق سوى الاستنجاد بالسلطة التي تمثل في المنطقة ملجا وحاميا لكل المستغلين والقبضايات ومن باب اولى للرأسماليين . وصدفا أن صهر صاحب السوق افندي كبير وذو مركز هام في سلك القمع . فلم تمض أيام حتى كان نحو عشرون دركيا وجرافة وعلى رأسهم مسؤول ، قد فاجأوا الباعة بدون انذار وبدأوا بتحطيم البسطات والعربات بما عليها من خضار بينما كان الباعة المساكين يتراكضون الى عرباتهم محاولين انقاذ البقية الباقية من خضارهم ومصدر ارزاقهم . وبينما الدرك يخوضون المعركة ببسالة وينهالون على العربات بالمعاول والرفوش ، اذا بصاحب السوق — وكان موجودا ومشرفا على عملية الهدم — يسرع الى المسؤول فيأخذه على جنب ويطلب منه سرا أن يتوقف عن الهدم ويترك الصف الثاني من العربات لانه يملك في هذا الصف بسطة ما زال عليها كمية من الخضار يريد أن يصرفها .. هذا ما حصل .

في اليوم الثاني عادت قوات الدرك الى السوق (وكان ذلك في المساء) وحطمت البقية الباقية من البسطات والعربات بالجرافة ولم تترك مكان السوق الا بعد أن حولته الى انقاض من الاخشاب والخضار . كل هذا يجري امام انظار الباعة المذهولين والذين لم يحركوا أي ساكن .

في اليوم الثالث كان كل شيء قد انتهى ، ومن اين للباعة المساكين أن يواجهوا رجال السلطة ببنادقهم وجرافتهم ؟ بعضهم نظر الى ما حدث نظرة يأس واستسلام . قال في سره أن أصحاب السوق أقوياء وأن الدولة معهم وأنب نفسه على ما فعل .. البعض الاخر اشتكى من تفرق الباعة واكد انهم لو كانوا متضامنين لكانوا لقنوا المعتدين درسا في الدفاع عن النفس . لكن ما الحيلة الان وقد ذهبت البسطات والعربات والاطفال ينتظرون اللقمة وقسط المدرسة وصاحب البيت يتربص اخر الشهر ليقبض الايجار .. ذهب الباعة الى السوق الحديث صاغرين . دفعوا ثمن كل بسطة ٢٠٠ ل.ل. عدا ونقدا وايجارا شهريا قدره ٦٠ ليرة على البسطة الواحدة. وكل من لا يدفع لا يدخل السوق .

عندما افتتح السوق كان عدد الباعة مائتين . من هؤلاء استطاع صاحب السوق وشريكه أن يسدا في أول شهر تكاليف السوق بكامله ما عدا ثمن الارض ، (حوالي ٧٠ الف ليرة) . لكن لم يمض شهرين حتى بدأ النزوح من جانب الباعة بسبب غلاء الايجارات الفاحش ، واستقر العدد على سبعين بائعا حاولوا أن يخفضوا الايجارات . جاء الى الباعة أحد أزلام صاحب السوق وقال لهم انه مستعد لاقناع صاحب السوق بتخفيض الايجار الى ثلاثين ليرة شرط أن يأخذ هو خمس ليرات عن كل بسطة شهريا وان يبقى الامر سرا بين الباعة . وبالفعل فقد خفض الايجار الى ثلاثين ليرة شهريا تضاف اليها ٥ ليرات الى الوسيط .

وضع السوق الان

حاليا هناك عشرون بائعا يملكون ستون بسطة ، اين ذهب الباقون ؟

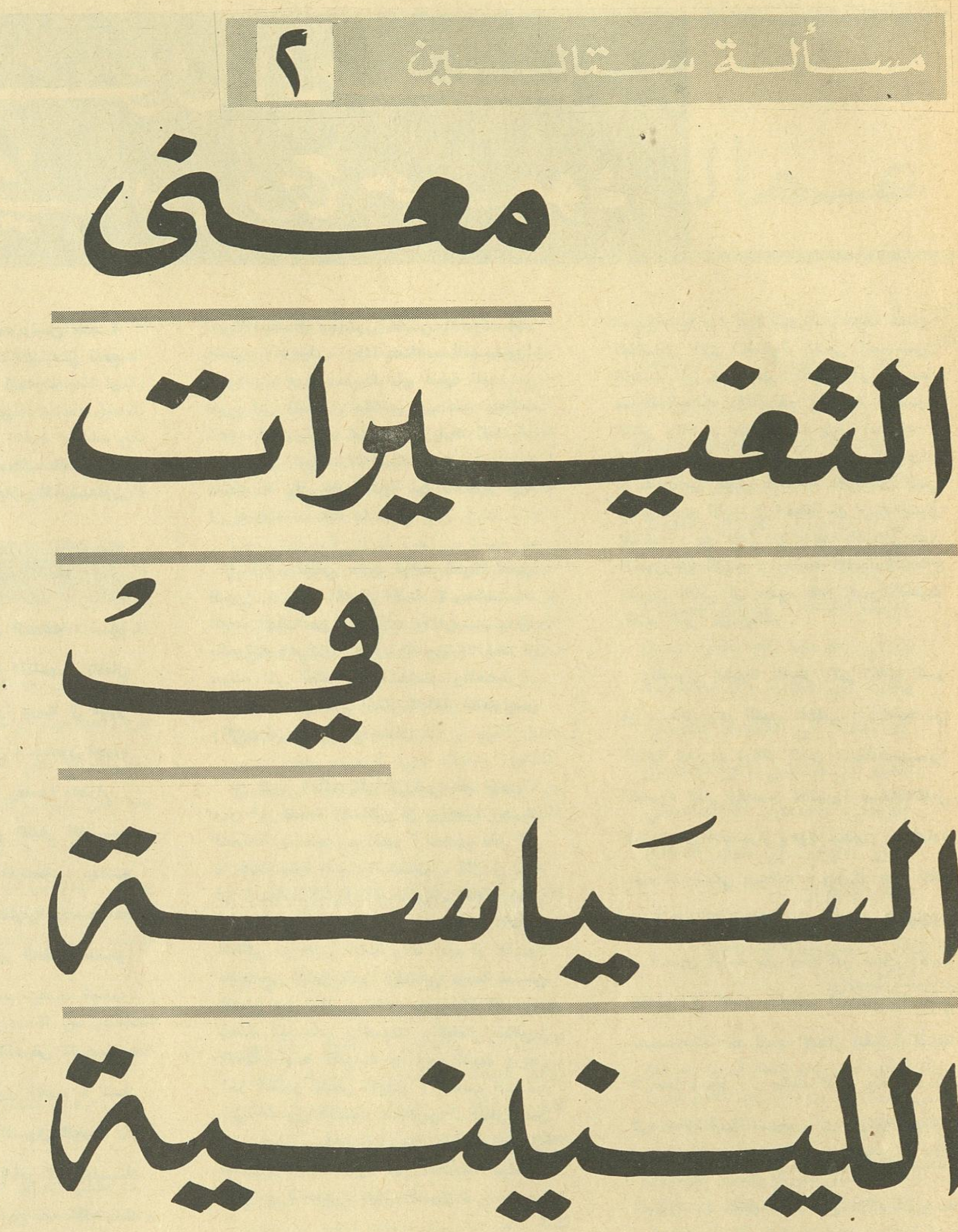
بعد أن قام السوق الجديد ، قام حزب الطاشناق الارمني ببناء سوق اخر يملك فيه اسهما كثيرة ، ولا يبعد هذا السوق عن السوق الحديث سوى مئتي متر . وايجار المبسطة فيه ٢٠ ليرة شهريا . هدف حزب الطاشناق الان المضاربة على السوق الحديث الى حد يضطره للتوقف عن العمل مما يسمح بعد ذلك برفع ايجارات السوق الثاني والتحكم بالباعة كما يشاء اصحابه . في سبيل ذلك لم يكتف الحزب بخفض الايجارات بل عمد عن طريق عصاباته الارهابية الى تحذير جميع الارمن في المنطقة من ارتياد السوق الحديث (مع العلم أن غالبية السكان حول السوق من الارمن) . لهذه الاسباب استطاع السوق الثاني أن يجذب باعة السوق الحديث وقسما كبيرا من زبائنه .

والسوق الحديث اضطر الان لاغلاق قسم من بسطاته وهو القسم الخلفي ، والعديد من الباعة فيه هم اولئك الذين استطاعوا الصمود امام المنافسة فاشتروا بسطات الذين عجزوا عن الاستمرار وهؤلاء يملكون في العادة ست الى ثماني بسطات ، وتشكل هذه الفئة من الباعة الفئة الانتهازية ، وابرز الانتهازيين في السوق اربعة ممن يقال لهم حجاج وهم متقدمين في السن وظيفتهم ان يتجولوا مع محمد جواد عند جمع الايجار ليقولوا للباعة « نحنا دفعنا .. وانت آدمي ومنيح ومش لازم تسود وجهنا معهم ... » ولهؤلاء وظيفة اخرى هي أنهم يجمعوا الخضرة مجانا لاصحاب السوق .. مقابل ذلك يدفع هؤلاء الاربعة نصف ما يدفعه الباقون ايجارا لبسطاتهم .

اخيرا اطلت البلدية على الباعة تطالب بحصتها من تعبهم .. فطلبت من الباعة اوراق صحية وفرضت عليهم ان تكون ملابسهم نظيفة واظافرهم مقلمة ونظيفة دائما ، فمن لا يقوم بذلك نظمت بحقه مخالفة قدرها خمس وعشرين ليرة . ويستحق هذه العقوبة ايضا كل من يصرخ ويرفع صوته مهما كان السبب ، وعندما لا يكون للبائع اي سند يحميه فقد تتحول العقوبة فوق ذلك الى الضرب وحجز بطاقة الهوية . وهذا ما حدث لاحدهم اتهمه موظف البلدية بانه ينادي على بضاعته وقام بضربه ضربا موجعا امام الجميع ... لكن البائع المسكين يقول ان الموظف ضربه لانه اراد ان يبيعه كيلو الكوسى بليرة بينما يبدو ان الموظف كان يريد « اكرامية » !..

هذا بعض ما يجري في سوق الخضار الحديث الذي قام منذ سنة ونصف في برج حمود — سن الفيل ، لكنه نموذج فقط على ما يلاقيه كل الكادحين عمالا وحرفيين في هذه المنطقة ، بيد أن كادحي برج حمود لا بد سينهضون يوما في وجه مضطهديهم ومستغليهم من اصحاب العمل والسلطة والازلام .





مسألة ستالين ٢

معنى التغييرات في السياسة اللينينية

هذا هو الجزء الثاني من الدراسة التي بدأت الحرية بنشرها في العدد الماضي حول مسألة ستالين . وهي بقلم المفكر الماركسي الايطالي لوتشيو كوليتي .
وقد قامت اسرة « الحرية » بترجمة هذه الدراسة عن مجلة اليسار الجديد التي تصدر باللغة الانجليزية ، وفي هذا الجزء يتحدث الكاتب عن معنى التغييرات في السياسة اللينينية .

يكمن الاعتناء بكسب موافقة الجماهير ، مضافا اليه الهوة الموضوعية التي كانت تعزل الحزب عن القطاعات المتأخرة الواسعة من المجتمع الروسي ، خلف التقلبات المستمرة والتعديلات التي عرفها خط لينين السياسي . وكان هذا الخط السياسي ضحية دائمة لضرورتين متناقضتين فمن جهة كانت الحاجة الى الالتصاق بالوضع الروسي الامر الذي لم يكن يعني ان على الحزب ان يرجىء أهدافا اشتراكية أصيلة فحسب بل وانه كان عليه في الوقت نفسه ان يمثل العامل المستقبلي الوحيد ومصدر (؟) هذه الاهداف . من جهة اخرى، بما ان روسيا لم تكن سوى نقطة انطلاق ومنبرا موقتا لثورة اوروبية او عالمية فقد كانت هنالك حاجة دائمة الى استباق عالم يتخطى الاوضاع القائمة الامر الذي يتطلب ليس فقط تصور الانتقال الى الاشتراكية بل والى الشيوعية نفسها .

ويساعدنا ذلك في فهم التصور المثالي او « القفزة » التي يمثلها كتاب الدولة والثورة - فهو في آن معا عمل «طوباوي» من وجهة نظر مكان وزمان كتابته وتعبير لا سبيل الى تجنبه عن الاهداف والغايات النهائية لاية ثورة اشتراكية اصيلة . وهو يعيننا في ارجاع شكوك وحيرة لينين حتى في لحظة الثورة نفسها الى طبيعتها ومغزاها . وهنا نستطيع ان نقيس الجدية الدراماتيكية لماركسية لينين ، الامر الذي يميزه ، عن كل الاخرين . عن زينوفييف وكامينيف وستالين وبوخارين وحتى - ربما - عن تروتسكي : فبمجرد عدم تاكده برز لينين بوصفه اكثر المناضلين وعيا . ففي آب ١٩٢١ كتب لينين يقول ان الثورة كانت في الفترة من تشرين الثاني ١٩١٧ حتى كانون الثاني ١٩١٨ ديمقراطية بورجوازية ، وان المرحلة الاشتراكية لم تبدأ الا بتأسيس الديمقراطية البروليتارية . ثم عاد فاقترح تاريخا آخر : ان المرحلة الاشتراكية لم تبدأ الا مع النضال الطبقي الذي شنته لجان الفلاحين الفقراء ضد الكولاك . ولم تنقطع هذه التقلبات ابدا . فبعد ذلك بشهرين ، أي في اكتوبر ١٩٢١ برز تأريخ جديد : هذه المرة لم تتم المرحلة الديمقراطية - البورجوازية من الثورة حتى ١٩٢١ اي في الفترة التي كان يكتب هذه الكلمات فيها .

وخلف هذه التقلبات كان يكمن التطور المخالف لكل التوقعات . فقد كانت الفرضية الحاسمة التي استند اليها البلاشفة في استيلائهم على السلطة والتي كانت قادرة على اكثر من تعويض الصعوبات الناشئة عن تأخر روسيا ، بطيئة التحقق . فلم تحدث الثورة في اوروبا ، او هي بالاحرى حدثت وهزمت مؤقتا . وبسبب تأخر حدوث الموجة الثانية وجد لينين نفسه مضطرا الى مواجهة الحقيقة التي كان قد عرفها دائما قبل كل الاخرين: ان الاسس الاقتصادية والاجتماعية الضرورية لتحقيق اهداف السلطة السوفياتية في روسيا كانت مفقودة تماما ، وبالتالي فان ديكتاتورية الحزب كانت معلقة في الفراغ . وبوجود البولشفيك في السلطة كان التناقض القديم الذي ناضل الحزب ضده منذ ولادته يبرز بصورة اكثر حدة : فيما كانت روسيا تمتلك اكثر النظم السياسية تقدما في العالم فانها كانت تفتقد الحد الادنى من البناء الاقتصادي الملائم لهذا النظام . وهكذا غدت تعابير الصيغة الكلاسيكية في المادية التاريخية التي تتناول العلاقة بين البنى التحتية والبنى الفوقية مقلوبة رأسا على عقب بالنسبة لاكثر المؤمنين بها عنادا . وغدا باستطاعة المنشفيك الذين هزموا في معركة النضال السياسي أن يلوحوا بهذه الصيغ ضد لينين نفسه . وكان استلام السلطة في غياب قاعدة اقتصادية ملائمة ، وديكتاتورية البروليتاريا مع الغياب شبه الكلي للبروليتاريا ، واكثر من ذلك من قبل حزب لا تشكل فيه البروليتاريا سوى اقلية ، واعادة ادخال الرأسمالية بعد الثورة عبر « النيب » وسيطرة جهاز دولة بيروقراطي ضخم ، كل هذه العوامل كانت تضاف الى مجموعة من الادلة التي تتحدى النظرية كما تتحدى المنطق . وبعد مضي اقل من سنتين على الدولة والثورة الذي نادى فيه لينين بـ « تحطيم جهاز الدولة » وجد لينين نفسه مضطرا الى الاقرار بصراحته المعهودة ليس فقط بأن جهاز الدولة بقي سليما بل وانه بقي في ايدي العاملين الاصليين فيه . « ان لدينا كمية غير محددة من المناضلين في المستويات العليا - بضعة الاف على الاقل ، وفي الاكثر عشرة الاف . ولكن ، وفي قاعدة المراتب هنالك الاف الموظفين السابقين الذين ورثناهم من القيصر ومن البورجوازية والذين يعملون جزئيا عن وعي وجزئيا دون وعي ضدنا.

الصعوبات الهائلة

واذا ما اضفنا الى كل ذلك الحرب الاهلية والتدخل الاجنبي من قبل القوى الاجنبية فان الصعوبات الهائلة التي واجهتها القيادة البولشفية تبدأ في البروز بشكل ملموس . فلم تمض شهور على استلام السلطة حتى وجد الحزب نفسه سيدا لقلعة مسلحة جائعة ومحاصرة من كل الجهات وحتى من الداخل . وبغية المقاومة كان على الحزب أن يلجأ باستمرار الى قدر أكبر من المركزية كذلك تراجعت الجماهير التي دعمت البولشفيك في المرحلة الاولى بعد ان قتل معظمها او تشرد . اما كتائب العمال فقد هجرت المصانع شبه المدمرة لكي تسير الى الجبهة .

ومن المستحيل تقريبا المبالغة في تصوير كآبة الموضع : فقد بدأ المجتمع الروسي الذي هزته الحرب العالمية هزا عنيفا وكانه يترنح على حافة الخراب بتأثير الهلاك الجسدي والشلل الصناعي . وفرت النواة المتبقية من العمال من المجاعة الى الريف . وبدا تاريخ التقدم البشري الذي انطلق من الريف الى المدينة وكأنه كان يعكس نفسه بعنف . ويمكن ملاحظة أن السكان المدينيين في روسيا الاوروبية قد نقصوا بنسبة ٣٥ر٢٪ بين ١٩١٧ و ١٩٢٠ . وهبط عدد سكان بتروغراد من ٢ر٤٠٠٠٠٠٠ في ١٩١٦ الى ٧٤٠٠٠٠ في ١٩٢٠ فيما هبط عدد سكان موسكو في الفترة نفسها من ١ر٩٠٠٠٠٠ الى ١ر١٢٠٠٠٠٠ .

وفي هذا الظرف كان الحافز الثوري قد استنفد اخر امكاناته ، وبدا ان « النيب » تمثل تراجعا لا مفر منه . ففي الفترة التي تلت اكتوبر والمجهودات الهائلة للحرب الاهلية رمت روسيا القديمة التي اعتبرت حتى ذلك العين مجرد مركز امامي للثورة الامية بكل ثقل تأخرها في الميزان . وكان على الحزب الذي وجد نفسه معلقا ما بين طبقة عاملة متعبة ، مجرد شبح لماضيها ، وفلاحين متحفزين للاستفادة بعد طول انتظار من الاراضي التي منحتهم اياها الثورة ، ان يواجه مهمة اعادة الحياة الى مجتمع نازف ومشلول . وهكذا وضعت الاهداف الثورية العظيمة جانبا. كما تراجعت البرامج السياسية امام الروتين اليومي وحلت الممارسة التقليدية مكان النظرية المحطمة . وتوجب على الحزب ان يأخذ الدور الشامل والمهيمن في ان معا . وذلك ليس فقط على الصعيد السياسي وانما على المستويات الادارية والاجتماعية والاقتصادية كذلك . وهكذا اضطر الحزب الى تضخيم صفوفه ليس بمحرضين او مناضلين سياسيين وانما بأداريين يستطيعون التوجيه والادارة والمناورة والقيادة : الرجال الذين كان يتطلبهم الوضع الجديد .

اصول ستالين

كانت تلك اللحظة التي بلغت فيها الهوة اوجها ما بين الطليعة والطبقة التي كان يفترض فيها ان تمثلها . وكانت نتائج ١٩١٧ نفسها تبدو على وشك الاختفاء . ومع حرية التجارة أدخلت « النيب » الاجراءات المؤدية الى تسهيل عودة رجال الاعمال والتجار والرأسماليين . وفيما افادت هذه السياسة الفلاحين ، وبخاصة الفلاحين الاغنياء والمتوسطين ، فانها بالضرورة خيبت مطالب البروليتاريا التي توجب عليها حتى ذلك الحين ان تحمل اثقل الاعباء في الثورة . وكان العامل الاكثر اهمية في تحديد الظرف الجديد، والذي برز منذ عهد « النيب » ، التخلي النهائي عن الاستراتيجية التي قامت الثورة على اساسها . فقد انهارت اخر الامال الثورية في اوروبا . واستطاع النظام البورجوازي في المانيا ان يقاوم برغم انه وصل ثلاث مرات الى حافة الانهيار . وقد حمل انتصار النظام في المانيا بذور النازية كما ساهم في العزلة النهائية للاتحاد السوفياتي مقويا بذلك الاتجاه نحو التمركز ونحو التراجع الذي تلا الثورة .

ومن هذا المنظار بالذات تنبغي رؤية صعود ستالين الى القيادة ، في الحزب اولا ثم في الدولة . فاهمية ستالين تبدأ في البروز مع تنامي الطابع البيروقراطي لكل من الحزب والدولة . وبدورها تطورت البيروقراطية وتوسعت بفعل تاخر روسيا الساحق وعزلتها . فهي نتاج ثورة متراجعة محاصرة ضمن حدود اقتصاد معوز ومعتمدة على جماهير هائلة من الفلاحين البدائيين .

وقد ثبت ان التغير الحاصل في هذه الفترة ، الفترة التي سبقت وتلت مباشرة موت لينين ، كان ذا اهمية فاصلة بالنسبة لمجمل التاريخ اللاحق للعالم . فقد دمر فشل الثورة الغربية الاستراتيجية التي كانت تحفظ ممارسة البلاشفة . وهكذا انتفت دون سابق انذار امكانية ردم الهوة تدريجيا بين التأخر الروسي والبرنامج الاشتراكي عبر الدعم الصناعي والثقافي الذي كانت موارد اوروبا اشتراكية قادرة على توفيره . وعلى الفور وجد الحزب انه لم يعد يقف على ارضية صلبة .

وكانت اولى نتائج هذا الوضع الصراع الداخلي ضمن القيادة البولشفية اثر موت لينين . ولم تكن الهزيمة السريعة التي لاقتها « المعارضة اليسارية » هزيمة للرومانتيكية الثورية . بالاحرى فانها كانت الانعكاس المباشر في روسيا للثورة الاوروبية المجهضة . وبالفعل ليس ممكنا تقليص الصراع ما بين ستالين و « المعارضة اليسارية » الى سلسلة من الصراعات على السلطة استخدم فيها ستالين الحذر والبطيء دهاءه ضد خصم أبدى قدرة عظيمة على المناورة اثناء الثورة والحرب الاهلية الا انه عاد فأصبح بصورة غريبة مكابرا وأخرق وواثقا من نفسه . ينبغي البحث عن المقدمات المنطقية للصراع في مكان اخر . فالعتبة الاولى في السلم الذي حمل ستالين الى السلطة وفرها القادة الديمقراطيون الاشتراكيون الذين اغتالوا روزا لوكسمبورغ وكارل ليبنخت في كانون الثاني ١٩١٩ . وكان لغياب هذين القائدين اثر عميق في هزائم ١٩٢١ و ١٩٢٣ في ألمانيا . أما العتبات الباقية فقد وفرتها الموجة الرجعية التي اجتاحت اوروبا فيما بعد واتت بموسوليني وبريمو دي ريفيرا وهورثي وسواهم .

وبانعزالة وانغلاقة ضمن « التأخر الاسيوي» لروسيا مر الحزب بأكثر من مجرد تغيير في الاستراتيجية . فقد أكد وزن وقوة استمرار التركة التاريخية الروسية نفسه بما يفوق اية قوة للتغيير والانقطاع الثوري . ولم تتمثل المزايا المتجددة للنظام القديم في اعادة انبعاث بنى ايديولوجية ومؤسسية سابقة فحسب بل ، وكما بين «كار»، في انبعاث قومي . وكانت القوى الاجتماعية التي انبعثت من جديد بعد هزيمتها السابقة لكي تساوم النظام الثوري وتؤثر في مجراه بطريقة غير محسوسة ، كانت قبل كل شيء القوى التي اكدت صحة تراث المحلي ضد التأثيرات الاجنبية .

وهكذا غدت قضية روسيا وقضية البلاشفة ممتزجتين في وحدة لا سبيل الى فصمها وغير قابلة للتمييز . وكان ذلك خليطا هجينا بالفعل. وسرعان ما اكتسبت السلافية القديمة والاتجاهات المعادية « للانبعاث » أمد حياة جديدة ضمن هذا الخليط . وحدث انعكاس تام في المنابع . فقد بدأت الماركسية التي دخلت روسيا عبر برنامج «تغريب» (الصناعة ، العلم ، الطبقة العاملة الحديثة، والنظرة النقدية والاختبارية)، والتي تكثفت مع صيغة لينين « الكهربة مع السوفياتات » التي تحوي كل رسالة الماركسية الى العالم الحديث ، في التشبع بفكاهات فاسدة من عقلية روسيا الكبرى الاوتوقراطية .

« حينما غادرنا الرفيق لينين فانه امرنا بأن نحترم ونحفظ نقاوة اسم كل عضو في الحزب . اننا نقسم ، ايها الرفيق لينين ، باننا سوف ننفذ هذا الامر باخلاص . حينما غادرنا الرفيق لينين فانه امرنا بأن نحرس وحدة الحزب كما نحرس بؤبؤ عيوننا . اننا نقسم ، ايها الرفيق لينين ، بأننا سوف ننفذ هذا الامر باخلاص » .

وتعبر هذه الاسطر من الخطاب الشهير الذي القاه ستالين في المؤتمر الحادي عشر للسوفياتات (٢٦-١-١٩٢٤) عن هوة من القرون الزمنية - القرون التي شهدت غاليليو ، ونيوتن وفولتير وكانت - تفصل بين هذه اللغة والعقلية ولغة وعقلية ماركس ولينين، وتساعدنا لهجة « القسم » المحملة بمهابة قداسية ، التي يبدو فيها ستالين بوصفه النائب الارضي ومنفذ وصية الاله متوف ، على فهم بعض العلاقات بأكثر مما يسمح اي تحليل . وقبل كل شيء فان العلاقة ما بين ستالين وجهازه البيروقراطي ، وتكاثر هذا الجهاز عبر موظفين غامضين غرباء عن تاريخ البولشفية والثورة (بوسكريبيشيف ، سميتن، يزكوف، بوسبيلوف، بومان، ميخليس ، يورينسكي ، فارغا ، مالنكوف وسواهم) هذا من جهة ، وبين الجماهير الحزبية التي اصبحت عبر « ضريبة لينين » والتطهيرات الاولية والانضمام الجماعي للمناشفة وبقايا النظام القديم جسما متبلدا وواهنا ، هذه العلاقة اصبحت مكونة اساسا من اصفار متعبدين ومن امين سياسيين مكشوفين .

ومن الضروري تذكر كل هذه الامور بغية فهم المعنى الحقيقي للراية التي حقق ستالين انتصاره في ظلها : « الاشتراكية في بلد واحد » . ولا يعني هذا الشعار ، كما تدعي الاسطورة ، بأن ستالين وحده ، من ضمن قيادة مرتبكة ومضطربة ، امتلك الشجاعة وبعد النظر لتبيان الحل في ظروف العزلة التي تبعت فشل الثورة في الغرب . وفي الحقيقة ليس هنالك من برنامج او استراتيجية سياسية - اذا كان ذلك ما نعنيه بكلمة « حل » - تحمل اسم ستالين . فالافكار كانت بنظر ستالين وسائل ، او بالاحرى ذرائع . وقد وفر له زينوفييف وكامنيف الموضوعات التي استخدمها لقتال تروتسكي. ووفرت دعوة بوخارين الى « الاشتراكية بسرعة الحلزون » الاساس لل « اشتراكية في بلد واحد » ولصراع ستالين مع «المعارضة الموحدة». واخيرا فان برنامج التصنيع الذي ابتدعته المعارضة وفر له القضاء على بوخارين بعد ان كانت المعارضة قد طردت من الحزب .

ما هي المزايا الخاصة او ، اذا كان هذا ما يفترض قوله ، ما هو عامل « العظمة » الذي مكن ستالين من ان يلعب دورا «تاريخيا عالميا» وفقا لتعبير هيغل . يتمثل هذا العامل في قدرة ستالين على تعليل العزلة المفروضة على روسيا - تلك العزلة التي تعتبر من وجهة نظر ماركسية ثورية مسألة سلبية ينبغي تخطيها بأقصى سرعة - على اساس انها فرصة جيدة من وجهة نظر مصير روسيا كدولة . ولا يعني ذلك ان باستطاعتنا الكلام عن الشوفينية او حتى القومية بمعناها العام في السنوات المبكرة ١٩٢٥ او ١٩٢٦ . فالعملية كانت أكثر تعقيدا . وجذورها ترجع ، كما لاحظ كار ، الى نوع من الفخر الناجم عن ان الثورة نجحت برغم كل شيء ، وانها كانت انجازا روسيا ، وان روسيا نجحت حيث فشلت بلدان اخرى كان يفترض انها اكثر تقدما . وكان اولئك الذين شعروا بهذا الفخر « الثوري - القومي » يغتبطون لدى سماع ان روسيا سوف تقود العالم ليس فقط في صنع الثورة بل وفي بناء اقتصاد جديد . وبالتحديد ، كانت قدرة ستالين الغريزية على تفسير وتقديم هذه « القوة » ، الغامضة الواضحة مثلما كل عوامل ما يسمى « بالروح القومية » هي التي مكنته من بناء وتدعيم سلطته . وكانت « الاشتراكية في بلد واحد » ، وقبل كل شيء ، اعلان استقلال عن الغرب ، اعلانا انعكس فيه بعض من التراث السلافي الروسي القديم . فهو لم يمثل تحليلا اقتصاديا او برنامجا او استراتيجية سياسية بعيدة المدى . فقد كانت مزايا ستالين الفكرية غير ملائمة لمثل هذه المهمات. كذلك كانت مزايا نصحائه : مولوتوف، كاغونوفيتش ، اورد جونوكيدزه بعد بيريا وزدانوف وسواهم . وهكذا كيروف ، ياروسلافسكي ، ياغودا وفيما كان ذلك الاعلان شيئا أخر : شيئا كانت ماركسية معظم القادة البلاشفة قاصرة عنه بسبب من مستواها الفكري المرتفع وتربيتها الامية العميقة . وباختصار، فقد كان هذا الاعلان اعلان ايمان في فضائل ومصير الشعب الروسي .

ووفقا لكار الذي كان محبذا لستالين من عدة نواح فقد كان اندماج عاملين مميزين لشخصيته السبب وراء قدرته على التعبير عن عملية موضوعية في السنوات التي تلت موت لينين . وكان هذان العاملان : اولا ، « ردة فعل ضد النموذج الاوروبي ، السائد الذي كانت الثورة تصنع على اساسه حتى ذلك الحين « لمصلحة » عودة واعية او غيرواعية الى التراثات الروسية القومية » . وثانيا ، التخلي عن اطار فكري ونظري كان قد تطور على امتداد الفترة التي قاد لينين الحزب اثناءها من اجل « اعادة تقييم صريحة للمهام العملية والادارية » .

ستالين .. الوحيد

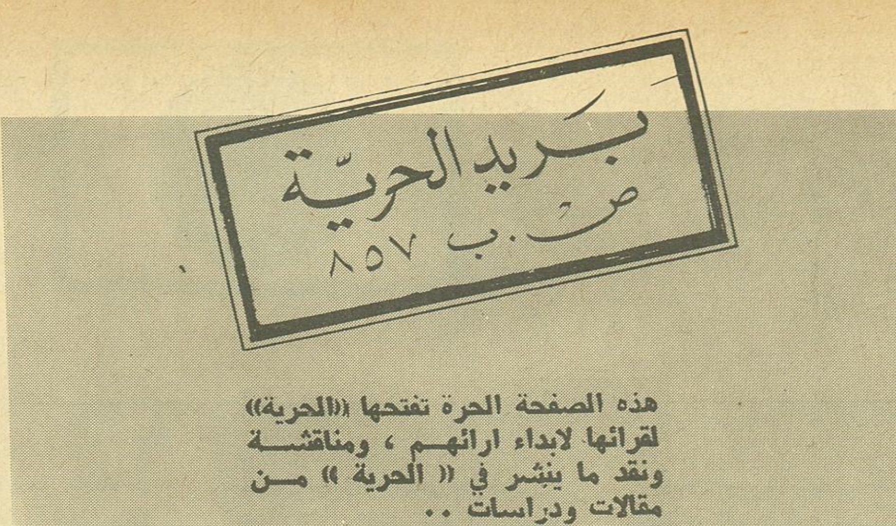
وكان ستالين الوحيد بين القادة البلاشفة الذي لم يعش في أوروبا ولم يقرأ او يتكلم لغة غربية ، ومن هذا المنطلق فقد مثل صعود ستالين الى السلطة شيئا يتخطى شخصيته اي استبدال مجموعة سياسية كاملة ضمن الصفوف القيادية للحزب بصورة متلازمة مع تبني « الاشتراكية في بلد واحد ». وهكذا تمت ازاحة تروتسكي، وراديك، وراكوفسكي ، وبريو براجنسكي ، وزينوفييف، وكامينيف ، وبياتاكوف، وبوخارين وسواهم بصورة تدريجية وحل مكانهم اشخاص كانت سمتهم الاكثر بروزا لا مبالاتهم العميقة تجاه النظرية الماركسية ومسلكهم «الاداري» المبحت تجاه المسائل الاساسية المتعلقة بالتحليل السياسي والاستراتيجية . وكان مولوتوف وكيروف وكاغانوفيتش وفوروشيلوف وكويبيشيف ، الرجال الذين اصبحوا بالتعاقب مقربين من ستالين ، يفتقدون مثله اية ثقافة غربية أو اية وجهات نظر امية .

ويقول كار : كان جميع القادة البلاشفة الاصليين ، باستثناء ستالين، ورثاء او نتاج الانتلجنسيا الروسية بحيث تقبلوا كل المقدمات المنطقية لعقلانية القرن التاسع عشر الغربية . أما ستالين فكاد الوحيد الذي تربى في تراث ثقافي لا يتجاهل طرق الحياة والتفكير الغربية فحسب بل ويرفضها بصورة واعية . وكانت ماركسية البلاشفة القدامى تشمل بصورة لا واعية استيعابا للاسس الثقافية الغربية التي قامت عليها الماركسية . فلم تتعرض المفرضيات الاساسية لمعصر الانبعاث لاي تساؤل ، وكان يفترض دائما وجود توفر قاعدة من الجدل المنطقي. أما ماركسية ستالين فقد قامت على ارضية مختلفة تماما بحيث اتخذت طابع العقيدة الشكلية في مكان الاقتناع الفكري .

ويفسر وصول هذه النخبة السياسية الجديدة ، التي غالبا ما عبرت عن وجهة نظر « اشتراكية - قومية » وليس امية ، الاتجاه الجديد الذي فرضه ستالين على الامية الثالثة - التي سرعان ما دعاها بـ « الدكان » . ولم يبد ستالين اي اهتمام بالامية في السنوات التي كانت فيها جهازا نشيطا يشهد النشاطات المحمومة للينين وتروتسكي وزينوفييف . وبدأ اهتمام ستالين بالامية اثر عام ١٩٢٤ حين كانت قد توقفت عن خدمة حاجات الثورة العالمية لتصبح الة بيروقراطية واداة لدعم السياسة الروسية أو لدعم مخططاته الشخصية. ومنذ ذلك الحين اصبح التخلي عن اي منظور امي تاما . وحلت المناورات السياسية غير المترددة مع الدول الرأسمالية مكان الامكانات والاهداف الامية . وأصبحت حركة الطبقة العاملة العالمية والاحزاب الشيوعية خاضعة بصورة تامة ومطلقة لمصالح الاتحاد السوفياتي . وضمن هذه الدولة اظهر ستالين بانه اكثر « روسية » من كل القادة البلاشفة الاوائل ، بل واخضع بعنف كل القوميات الاخرى التي كانت تضمها الامبراطورية القيصرية السابقة (بدءا بموطنه جورجيا) .

(والى العدد القادم)

لينين



هذه الصفحة الحرة تفتحها «الحرية» لقرائها لابداء ارائهم ، ومناقشة ونقد ما ينشر في « الحرية » من مقالات ودراسات ..

حول مقال العدد السابق من «الحرية» عن الانظمة العربية وحركة المقاومة
تقييم لنقد الموقف السوري

على الرغم من الصمت العربي المريب الذي رافق المجازر الدموية التي نفذتها زمرة القمع الفاشستي ضد الحركة الوطنية وطلائعها الفدائية في الساحة الاردنية .

وعلى الرغم من المعركة التي خاضها ابطال المقاومة بظروف قاسية وغير متكافئة ، وعلى الرغم مرة اخرى من الضغوط السياسية الدولية التي جاءت لتدعم موقف الحكم العسكري المتحالف مع اسرائيل ، كل تلك العوامل رغم ثقلها لم تكن بقادرة على انهاء المقاومة ، تلك التي بدأ دورها يبرز اكثر فأكثر — كما هو بالفعل — كعامل ينخر جدار الانظمة العميلة والعاجزة على حد سواء ، تلك التي كانت وما تزال تشكل العائق التاريخي في وجه تحرر المنطقة العربية على الصعيدين : الوطني والطبقي .

بيد أن المعركة التي خاضتها المقاومة تحت الشروط القاسية المشار اليها ، ما كان لها أن تنتهي الى ما انتهت اليه ، لو ان النظام السوري سلك نفس سلوك الانظمة الراكعة للامبريالية والصهيونية ، فاذا كانت المعركة حسمت لصالح الحكم العسكري ، فان الهدف الاساسي من تشكيل هكذا حكومة وهو القضاء التام المبرم على المقاومة ، لم يتحقق مرحليا ، رغم اضطرار المقاومة للذهاب الى التفاوض الذي أصبح مشروعا ، بعد أن أصبحت وحيدة في المعركة ، سيما والدعم العربي السياسي لم يتعد حدود النقد الرقيق الخجول للحسين .

اذا كان تقهقر الفدائيين قبيل التدخل السوري كان قد أصبح أمرا واردا تحت وطأة القصف البربري ، فان فضل الحفاظ على وجود المقاومة يعود للموقف السوري الداعم المشرف ، على الرغم من خلفية هذا الدعم على الصعيد البنيوي والايديولوجي ، فانه يعبر عن مأزق الحكم السوري ، المتلخص بادعاء تنفيذ مهام موكلة بالاساس الى سلطة شعبية حقيقية ، عليه ، فان الامور المبينة في المقال ليست كافية على الاطلاق : اذا كانت سوريا تخشى المعركة مع العدو الفعلي فلماذا لم تتحاش مثل تلك الورطة بأن تعزف نهائيا عن دعم المقاومة ، بل فعلتها رغم انزعاج الانظمة العربية ، وعدم مقدرتها على اخفاء استيائها ، كان بوسعها الاقتصار على الدعم اللفظي حتى تنتهي السلطة من ذبح اخر فدائي اذا كانت داخلة فعلا في لعبة الحل السلمي .

غير أن حزب البعث الحاكم في سوريا يعيش وينمو بناء على طرح متقدم يشكل اساس تماسك قاعدته ، وفي حال الانحراف الواضح العيني ، لا بد وان يصبح تفكك القاعدة في الحسبان ، وبالتالي ففي حال تخلي الحزب الوطني ، فانه يفقد مبرر وجوده القائم على ادعاء تمثيل مصالح الشعب بفئاته الكادحة .

ان مجرد المقارنة بين الموقف السوري والعربي على سبيل المثال هو اجحاف لا تجيزه الامانة للتاريخ ، ان عدم التماسك الواضح لدى جناحي الحكم — بل الحزب — لا تقاس ، بالمعنى السياسي ، على أنها تراجع بعزلها ظروف الحكم ، والثغرة في الحكم هي التي تتيح على امد يطول او يقصر ، مناخا ثوريا يتخطى الاطر الحالية ، من الواجب كشف الامكانات المتاحة في حال التدخل الاسرائيلي لصالح دعم النظام الاردني ، والتي يعجز الحكم السوري ولا شك عن مواجهته ، غير أن المنظمات الشعبية التي لا تزال حتى الان هياكل تنظيمية تسيطر عليها ايديولوجية الحزب البورجوازية الصغيرة ، لا بد وان تتفجر اطرها باتجاه اكثر ثورية ، لتتخطى المفاهيم الغريبة عنها والمنزلة عليها من قبل سلطة عسكرية .

حالة النظام السوري هذه ، حيث تتسلط زمرة عسكرية على السلطة ، وحيث جناح اخر يتلمس الطريق الصحيح ، لا نجدها في اي نظام اخر .

اذا كان تفسير الدعم السوري للمقاومة على أن هذا النظام ما انفك يستعملها كورقة ضغط للانسحاب من « مرتفعات الجولان » التي لم يات ذكرها على لسان المسؤولين والساسة الاسرائيليين ، فان هذا التفسير خاضع للشك : « اذا كانت اسرائيل تستطيع — في حال تنفيذ الحل السلمي الذي تريده — الولوج الى المنطقة عبر بلد عربي (على الارجح — المغرب) ، واذا كانت الغاية الاساسية من وجود اسرائيل هو السيطرة على المنطقة اقتصاديا عبر الشراكة والعلاقة المتكافئة مع الامبريالية فانها وهذا الارجح ، مستعدة للتخلي عن النزعة الارضية لامد تحدده حاجات نمو اسرائيل وتطورها ، اذا تعهدت الانظمة بالقضاء على المقاومة التي بدأت وبصورة جدية ، تهدد الوجود الغاصب وعلته . اخيرا ، اذا كانت سوريا قد رفضت قرار مجلس الامن الصادر سنة ١٩٦٧ ، ورفضت ايضا مشروع روجرز سنة ١٩٧٠ ، واذا كانت قد طرحت شعار حرب التحرير الشعبية عام ١٩٦٦ ، واذا كان هذا الطرح رغم سلامته بقي مجرد كلام طابعه الغالب اعلامي ودعائي ، غير أن ثمة ظاهرة لا ينبغي تجاهلها وهي أن هذا الطرح وهذا الرفض لم يكونا فقط مجرد الرفض والطرح ، بل بسبب واضح وصريح : قطع الطريق على قوة اخرى تتولد وتنمو ، وتبدأ بتفهم الوضع وتباشر عمليا بالتعامل معه ، هذه القوة موجودة فعلا ، وهي التي كانت ولا تزال تصارع الطغمة العسكرية وتمد المقاومة بكل عون ، لذا يبدو تفهم مواقعها وقواها ، داخل الحكم وخارجه ، وعلى صعيد المنظمات الشعبية التي لا تزال هزيلة ، ودفعها المعنوي والسياسي ، مهمة وطنية في ظرف تساقط فيه ادعياء الوطنية .

صافي رمضان

سينما — الكاميرا في خدمة الشعب

في كل مرة كان يعرض فيها فيلم ثوري في (بوليفيا) كان الجمهور ينظم مظاهرات معادية للأميركيين

لعل السينما هي الظاهرة الثقافية والفنية الاكثر هيمنة في القرن العشرين ، ولكنها في الوقت نفسه هي الفن الذي يتمتع بأقل قدر من الحرية ، وبما انها قابلة اكثر من اي وقت اخر للتأثير على الجماهير (ولا حاجة بنا الى التدليل على قوة الصورة المتحركة). فان الرأسمالية تحاول وستحاول في كل مكان ان تربط هذا الفن بمصالحها لفرض ايديولوجيتها ومثلها على الطبقات المستغلة .

وهكذا ، نرى في معظم الاحيان على الشاشة البورجوازيين أمام مشاكلهم ، ويجد المتفرج بغض النظر عن ظروفه مدعوا الى الامتزاج بهذه المشاكل . وعندما يعرض فيلم ما مشاهد عن شخصيات من الطبقات الفقيرة (وهذا نادرا ما يحدث) ، فان هذه المشاهد تقدم في معظم الاحيان صورا مغلوطة ومحافظة تتسم بكثير من الابوة ، ولا تعكس مطلقا المشاكل الحقيقية .

والسينما هي ايضا الفن الاقل حرية من سواه ، لان رأس المال الكبير يتحكم به ويحصي عليه انفاسه .

وبديهيا ان الفرق كبير مثلا بين محمود درويش وبين جوريس ايفانز (وكنا قد تحدثنا عنه سابقا في سياق موضوع عن فيلم « الشعب وبنادقه ») وهو ان الاول يحتاج فقط الى قلم وورقة ليضع موهبته في خدمة الشعب ، بينما يحتاج الثاني الى كاميرا ، وجهاز تسجيل ، وتقنيين ، واشرطة ،الخ.. وهذا ما يجعل تكاليف فيلمه تتجاوز المئة الف ليرة لبنانية ، اذا لم نقل اكثر . وقلة نادرة هم الرأسماليون الذين يقبلون بتقديم مبالغ مماثلة لتصوير فيلم « هدام » . فضلا عن أن هذا النوع من الافلام ، من الصعب توزيعه بعدما اصبحت هوليوود هي التي تتحكم حاليا بالجمهور بأفلام ملونة توفر لها امكانات تقنية هائلة وممتازة.. أفلام تخاطب بموضوعاتها غرائز الجمهور بدلا من عقله . هذا دون اغفال امر له اهميته ، هو أن هذه الافلام — اي الافلام « الهدامة » — تصطدم برقابة الدولة .

وبالرغم من جميع الالتزامات المالية هذه ، فقد استطاعت السينما المستقلة أن ترى النور خلال السنوات العشر الماضية حتى في قلب البلدان الرأسمالية التي تأثرت جزئيا بالافلام الملتزمة من بلدان العالم الثالث . وهكذا لقي مثلا فيلم « ساعة النيران » ، — لاهورا دي لوس هورنوس — للسينمائي الارجنتيني الثوري فرناندو سولاناس صدى هائلا بعد أن كلف مخرجه جهودا متواصلة من العمل السينمائي والتمويل الذاتي داما خمس سنوات .

وفي بوليفيا ، وضع فريق من السينمائيين الثوريين — فريق «السينما — تحرير » — الكاميرا في خدمة الشعب ، وفي كل مرة كان يعرض فيها فيلم ثوري ، كان الجمهور ينظم مظاهرات معادية للاميركيين . وفي البرازيل ، حدد فريق « السينما الجديدة » — « سينما نيوفو » — لنفسه هدفا جليا هو السعي الى اعطاء البرازيل شخصيتها الثقافية، وتحويل السينما الى اداة من أدوات الثقافة الشعبية البرازيلية (الاساطير، الشعر ، الاغاني الشعبية ، الادب الوطني ، الخ ..) ، وهذه المهمة ليست بالمهمة السهلة ، لا سيما عندما يعلم المرء بأن هذه البلاد — اي البرازيل — هي خاضعة في الواقع لجميع انواع الاستعمار الثقافي (ولا فرق كبير بينها وبين لبنان) . وقد تمكنت السينما البرازيلية فعلا من تحقيق خطوات جبارة جعلتها تدخل حلبة السينما العالمية مسلحة بأفلام تمتاز باسلوب رائع يوازي في مستواه المضمون التقدمي .

وقد بدأنا نشهد مؤخرا في عدد من البلدان الرأسمالية ذات المستوى الصناعي المتقدم بوادر رفض السينمائيين — الذين يتوفر لديهم الوعي والجرأة اللازمتين — تسخير فنهم ، وتوظيفه في خدمة النظام القائم في تلك البلدان .

ولكن من الضروري التفريق بين نوعين من الرفض والتمرد : النوع الذي يعبر عن نفسه ضمن اطار النظام ، والاخر الذي ينمو ويتكون خارج هذا النظام . وهذا الاخير يرفض في أن يكون حجة او اداة في يد السلطة التي تردد دائما بانها « ديمقراطية » ، لانها تسمح للاخرين بنقدها . وينطبق هذا المثال على أميركا .

وفي مهرجان كان الاخير ، كان من بين الافلام التي شهدها المهرجان فيلم مناهض للعسكرتاريا اشتركت به الولايات المتحدة رسميا ونال الجائزة الاولى (لان اللجنة التي تشرف على اختيار افضل الافلام ، والهيئة المسؤولة عن المهرجان تهتمان بالاعتبارات الدبلوماسية وطبقة رجال الاعمال ، بقدر اهتمامها بالمستوى النوعي للافلام) ، ولكن اذا نظرنا عن كثب الى هذا الفيلم (الذي ستشهده بيروت قريبا) نجد انه في الواقع اقل حدة في نقده ما قد يتصوره المرء . علما بأن الدعاية الاميركية احاطته بهالة كبيرة من التقدير وقدمته وكأنه عبارة عن هجوم قاس وحاد على المؤسسة العسكرية الاميركية. وبالمناسبة تجري احداث الفيلم داخل معسكر للجيش الاميركي في كوريا ، وذلك ضمن اطار فكاهي . ولا شك بأن الشخصيات المحببة في هذا الفيلم ، هي التي لا تنظر بصورةجدية الى الحرب ، بعكس شخصيات اخرى — يتضمنها الفيلم ذاته — تبدو ثقيلة الظل وسخيفة لتعلقها بالحرب ، ولايمانها بالرسالة الحضارية الاميركية ، وبالتوراة .

وفي الحقيقة، ان الفيلم لا يناهض العسكرتاريا بالقدر الذي يعتقده البعض ، فهذا الفيلم لا يزرع الشك في الطبيعة الاستعمارية للحرب الكورية ، بل يتناول فكرة الحرب ، اي حرب، من زاوية الانسانية البورجوازية التي تتباكى وتتظاهر بغيرتها على المصير الانساني!

ومن ناحية ثانية ، تجدر الاشارة الى أن المشاهد لا يرى في هذا الفيلم اية صورة مباشرة من صور الحرب ، بل يراها — اي الحرب — من خلال مشهد الاطباء وهم يداوون ساقا أو يدا في جو تشيع فيه الفكاهة . أما باقي المشاهد ، فالويسكي يسيل فيها نهرا ، والمغامرات النسائية لها فيه مكانها الممتاز ، فضلا عن شتى الوان المقالب التي يدبرها ابطال الفيلم فيما بينهم .

وباختصار ، أن المواطن الاميركي العادي بعد مشاهدته لهذا الفيلم يخرج وفي رأسه فكرة لا تدعوه الى كراهية الحرب ، وخاصة حرب فيتنام .

وفي هذا الفيلم أيضا، عندما نشاهد الجنود الاميركيين يغادرون معسكرهم في طريقهم الى المدينة ، لا نجد كوريا واحدا يقف ليصرخ في وجههم : « ايها الاميركيون ، عودوا الى بلادكم » .

اذن ، ليس خطرا على الولايات المتحدة أن تشترك بمهرجان كان بفيلم كفيلم « ماش » ، فالفيلم يظهر للرأي العام غير الاميركي صورة « الديمقراطية » التي تسود اميركا .

« الى الامام »

وللمقارنة ، سنتحدث عن فيلم «الى الامام» للمخرج هربرت دونسكا . وقد عرض هذا الفيلم أثناء المهرجان خارج نطاق البرنامج ، مع العلم بأن مستواه الفني كان رائعا . وان هذا الفيلم هو نموذج للفيلم الذي يجري اخراجه من خارج النظام ، وبقليل من الامكانات ، ويمتاز في الوقت نفسه بمضمون سياسي حاد الملامح والتأثير . وموضوع «الى الامام » يتحدث عن ثلاثة شعراء سود ثوريين في الولايات المتحدة ، وقد اطلق هؤلاء الشعراء على أنفسهم اسما استعاروه من قصيدة افريقية تقول انه بعد الان لن يكون هناك شعر ولا شعراء ، ولا شيء سوى صوت حربة تنغرس في ظهر المضطهد . ونشهد طوال الفيلم هؤلاء الشعراء ينشدون الثورة في شوارع هارلم ، وفوق سطوح اكواخ التنك في وجه ناطحات السحاب العملاقة .

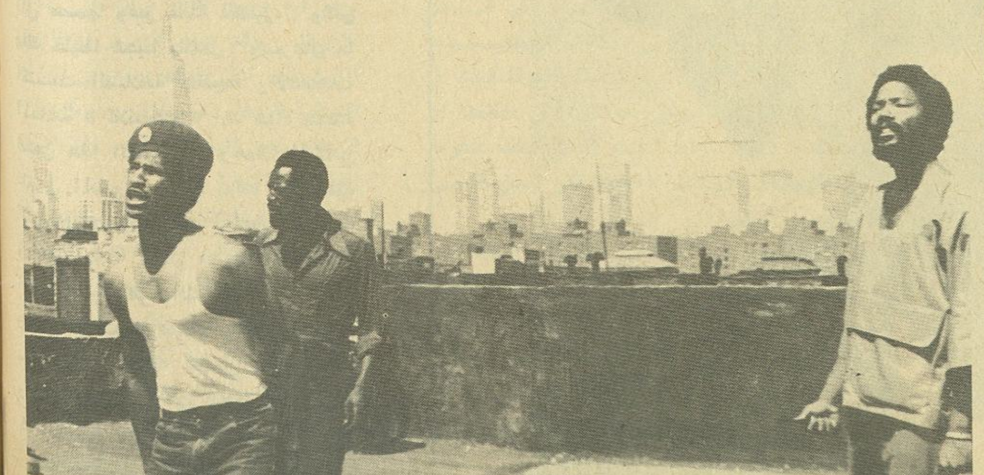
وانها ولا شك المرة الاولى التي يكون فيها الشعر هو المادة الوحيدة للفيلم ، لاننا لسنا في هذا الفيلم امام قصة بكل معنى الكلمة ، وبالمقابل نجد فيه تصاعدا دراماتيكيا مستمرا ، فمثلا عندما يلقي الشعراء الثلاثة قصائدهم ، فانهم يروون قصة ٣٥٠ عاما من تاريخ « الامة الثقافية » السوداء في الولايات المتحدة .

وفي بداية الفيلم ، تمتاز القصائد بمضمون يشع فيه الفرح ويبشر بالتمتع بالحياة تماما كما كانت الحال قبلا مع « السول ميوزيك » ثم يتحول مضمون القصائد تدريجيا نحو التشاؤم ويتسم بطابع سياسي ويعكس المرحلة التاريخية التي بدأ يستيقظ فيها وعي السود في الولايات المتحدة .

ويجب الحديث كذلك عن المظهر الخارجي للفيلم ، فهو يبدأ مع بزوغ الفجر وينتهي عند الغروب . وقد استطاع دوسكا ان يجد القوس القادر على شد قصائده الواحدة بجنب الاخرى ليكون منها قيمة جمالية سينمائية لا تقل من قيمة الاسلوب . وهو قوس رمزي له اكثر من عنوان ، لانه — اي هذا القوس — هو خلاصة تاريخ الاميركيين السود وتاريخ فنهم ايضا .

وعندما ينهي دوسكا فيلمه بسدول الليل ، فانه يقصد بذلك ان السود الثوريين في الولايات المتحدة سيشهدون ليلا حالك السواد قبل أن يسطع نور نهارهم ...

هـ. س





تتمة مشاكل الدخول للمدارس : الى متى ؟..

سعر الكتاب المحلي باستمرار ، ويعني ذلك ببساطة ازاحة قسم كبير من ابناء الطبقات الفقيرة عن حلبة العلم . لعدم قدرتها على تأمين النفقات المتزايدة . كتاب الفيزياء لصف الرياضيات مثلا يباع بـ ١٨ ليرة لبنانية. ومن عند المؤلف فقط . في حين لا يتعدى المائتي صفحة طباعة استنسل . أي لا يكلف اصلا سوى أربعة ليرات .. المثل الثاني هو أن مجموعة كتب الرياضيات الانكليزية عددها ثمانية كتب . أحسن المدارس لا تنهي أكثر من خمسة كتب . انما المؤلف لا يبيع الا الثمانية معا و بـ ٦٠ ليرة فقط . المؤلف يمارس حريته فقط ...

والظاهرة الثانية هي في استبدال الطبعات المتجددة غلافا وألوانا فقط ، مما يمنع الاخ من الاستفادة من كتب أخيه . ويلعب مدراء المدارس بما يقبضونه من عمولة دورا أساسيا في تغيير الكتب سنويا — (مدير احدى المدارس الابتدائية في برج البراجنة تلقى ٢٠٠٠ ليرة من دار النشر مقابل تغيير الكتب) —

ويعمد الطلاب الى بيع الكتب التي لم تلغ بنصف الثمن على الاقل . بدافع حاجتهم للمبلغ ، الا ان الدولة تمارس سيطرتها كجهاز قمعي من خلال منع الطلاب من التجمع في ساحة العازارية ، ليس هذا الا لمنع الطلاب من منافسة أصحاب المكتبات المتواجدة اساسا هناك . واذا حظي صاحب بسطة على رضى عملاء الدولة ، فانه يفتح وبحماية الدرك مياه بركة العازارية ، ،فيضطر الطلاب ان يبيعوه كتبهم بعشر قيمتها ، بعد أن تمتلىء الساحة بالماء . قانون العرض والطلب هذا يمارس وبرعاية اجهزة الامن لصالح من يحصلون على رضى عملاء الدولة .

أما الجوانب الاخرى من مشكلة الكتاب المحلي فهي نقصه وطباعته الرديئة (سؤال الرياضيات في الامتحانات الاخيرة بحكم الصدفة فقط !! كان من خارج الكتاب .)

الكتاب الاجنبي :

أول ما نلمسه هو أن مكتبات قليلة جدا (مكتبة لبنان — مكتبة انطوان) تستورد هذا النوع وتتولى تسويقه فارضة السعر الذي يرضي جيوب اصحابها . هذه الكتب كما هو واضح من كتاب الادب الانكليزي للبكالوريا ثمنه ٢٢ ليرة فقط ، ليست معدة اصلا لتلائم البرنامج التعليمي اللبناني . وهذا يفتح مجالا جديدا للاستغلال . بعد شراء الكتب طبعا . وهو ان يعطي كل استاذ معلوماته مطبوعة ولكن بثمنها . وويل للطلاب الذين ينسى معلمهم شيئا من معلوماته .. في امتحانات الدولة .

أبرز نتائج هذه الظاهرة — الاحتكار . سقوط الطلاب . فمقابل ارضاء أصحاب المكتبتين المذكورتين ، على اهل الطلاب الفقراء أن يدفعوا ثمن الكتب الاجنبية وثمن معلومات الاستاذ وضريبة الاحتكار .

ان تسليط الاضواء على هذه الجوانب من مشاكل التعليم اللبناني . دخول الطلاب للمدارس الرسمية الثانوية ، والكتاب المدرسي . يبرز خيط التماسك الذي يحكم ترابط الموضوعين ، وهو سياسة الدولة التعليمية الهادفة الى وضع العراقيل أمام ابناء الفئات الكادحة اجتماعيا — طبقيا — في سعيهم للحصول على وسائل تعليم حديثة وجدية .

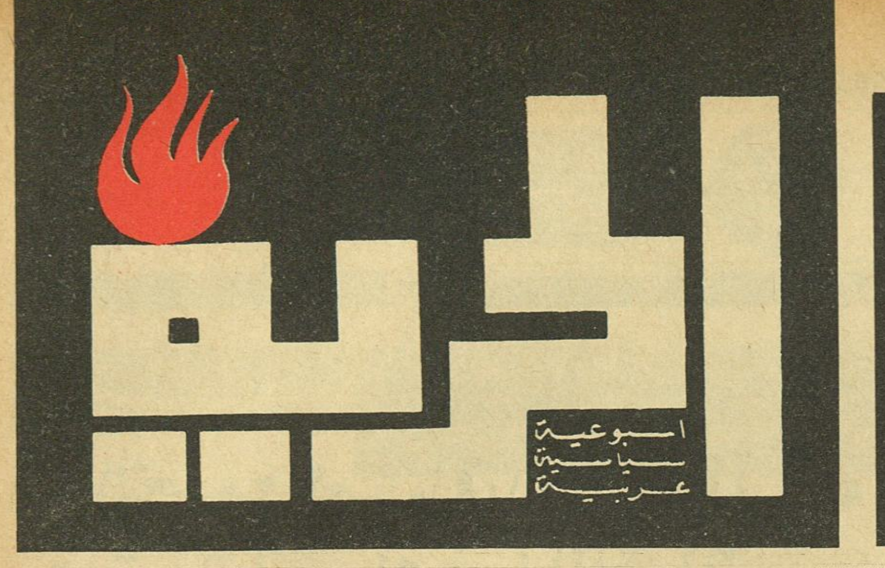
نظام دخول بمثابة مستوى اول للتصفية .
وتطبيقه مستوى ثان للتصفية .
كتاب مدرسي بقسميه المحلي والاجنبي يعمل على ابقاء الفقراء خارج المدارس .
تلك هي المشكلة .
الرد يملكه الطلاب واهلهم — شرط وعيهم وتحديدهم لمطالبهم حتى لا تتلاعب الدولة بها كعادتها !

اللجنة المالية المركزية للجبهة الشعبية الديمقراطية تصدر ايصالات جديدة للتبرع خاصة بلبنان

جاءنا ما يلي :

تعلن اللجنة المالية المركزية للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين بانها وضعت في جميع المراكز المالية التابعة لها في لبنان نماذج جديدة من ايصالات التبرعات الخاصة بلبنان وتطلب من جميع الرفاق والاخوة اعادة كافة ما لديهم من دفاتر سلمت سابقا الى مكتب الجبهة المركزي في بيروت لاستبدالها بدفاتر الايصالات الجديدة ، وبذلك تعتبر الدفاتر القديمة ملغاة اعتبارا من تاريخ هذا البيان .

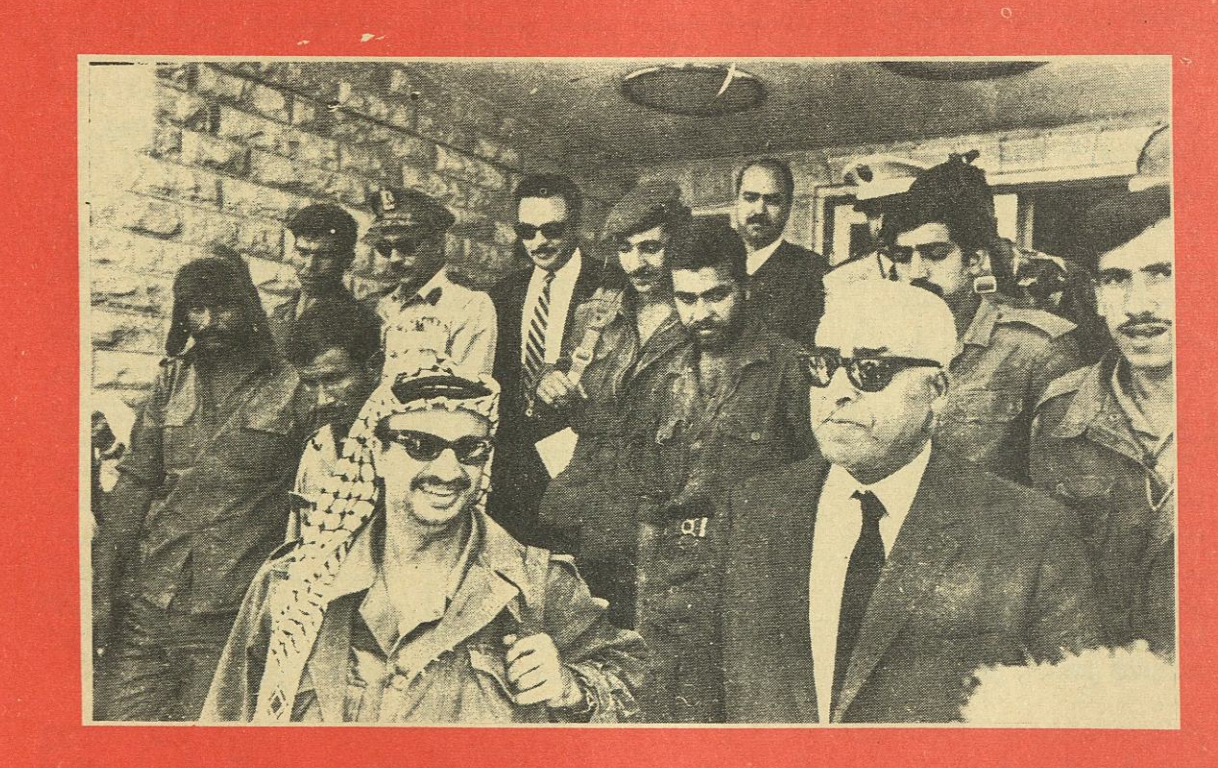
٥ — ١٠ — ١٩٧٠



نظام الامتحانات وشبهات «إمرأة القيصر»

الاثنين ١٢-١٠-١٩٧٠ - العدد ٥٣٦ - السنة الحادية عشرة - الثمن ٢٥ قرشاً لبنانياً • AL-HOURRIAH - No. 536 - 12-10-1970 - BEYROUTH

الصراع بين حركة المقاومة والسلطة الأردنية حول تنفيذ اتفاقية القاهرة



قضايا لبنانية

- إستشارات الوزارة «السلامية»: «عودة الجبنة»
- الجنوب بين عهدين
- مرسوم طواريء العمل



هكذا ودعت الجماهير المصرية والعربية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

مظاهرات الجماهير في ساعة الوداع الأخير



جانب من مسيرة بيروت عند انطلاقها في منطقة تلة الخياط.





صور عبد الناصر في طليعة الموكب الذي سار في لندن لتشييع الراحل الكبير

طليعة أكبر مسيرة شهدتها القدس لتوديع الرئيس الراحل جمال عبدالناصر